

## نظرة الاستشراق الجديد إلى المدرسة الحنبليّة - جورج مقدسي أنموذجاً -

### The new Orientalist view of the Hanbali school

#### - George Makdisi case study -

الباحثة: سَمَر موسى الفوّالجة<sup>1</sup>، أ.د. جهاد نصيرات<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الجامعة الأردنية (الأردن) samarmousamouhareb@gmail.com

<sup>2</sup> الجامعة الأردنية (الأردن) samarmousamouhareb@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/04/23 تاريخ القبول: 2024/08/24 تاريخ النشر: 2024/12/31

### ملخص

يكشف هذا البحث الانتقادات والمراجعات التي قدّمها الاستشراق الجديد حول النتائج غير العلميّة التي وقف عليها الاستشراق الكلاسيكي فيما يخصّ المدرسة الحنبليّة. وأظهر محاولة المستشرق "جورج مقدسي" الذي لاحظ التحامل الشديد حول هذه المدرسة وتداولها ضمن الدراسات الإسلامية الاستشراقية فكانت دراسته مراجعة ونقد لما قدمه المستشرقون من دراسات حولها.

وتتبّع البحث أعمال "مقدسي" المختلفة واستقرى ما يخصّ منها المدرسة الحنبليّة وحلّل الانتقادات التي وجهها إلى المستشرقين. كما قسّم البحث هذه الانتقادات في المصادر أولاً، ثم في أهم النتائج العلميّة.

وقد أفاد "مقدسي" الدّراسات الاستشراقية الجديدة بنتائجه المبتكرة؛ غير أن هذه النتائج لا تخلو من متخيلٍ رغائبي وظّفته السياسة الأمريكيّة في تعاملها مع الشّرق فعملت على تشكيل وعيٍ هجين حول الجماعات الإسلاميّة وأرادت إنتاج دينٍ ناعم يتناسب مع سياساتها الاستعماريّة.

**الكلمات المفتاحية:** الاستشراق الجديد، المدرسة الحنبليّة، التأويل، التصوف، التراث العربي.

## Summary:

This research reveals the criticisms and reviews presented by neo-Orientalism regarding the non-scientific results that classical Orientalism relied on with regard to the Hanbali School.

This research also sought to reveal the attempt of the Orientalist George Makdisi, who noticed the strong prejudice about this school within Islamic Orientalist studies, so his study was a review and criticism of the studies presented by the Orientalists about it.

The research traced Maqdisi's various works and explored what related to the Hanbali School and analyzed the criticisms he directed to the orientalists. The research also divided these criticisms into sources first, then into the most important scientific results.

Maqdisi has benefited new Orientalist studies with his innovative results. However, these results are not devoid of an imagination employed by American policy in its dealings with the East, as it worked to form a hybrid awareness around Islamic groups and wanted to produce a secular religion that was compatible with its colonial policies.

**Keywords:** Orientalism, Hanbali School, interpretation, Sufism, Arab heritage.

## مقدمة

لقد اهتمَّ المستشرقون بالتراث العربي والإسلامي وانشغلوا بالبحث فيه والتنقيح والتحقيق في مخطوطاته وحفظه ونقده، حتى أنهم أولوا الفرق والمذاهب نصيبًا وافراً وجهداً واضحاً، فأخذوا بدراساتها والجدد في معرفة نشأتها وأبرز مسائلها وتنوع مذاهبها، وكان لكثير منهم مآرب سياسية أو دينية، كما كان لفريق منهم حب التعلم والدراسة والبحث الموضوعي البعيد عن العدا والفرقة في الهدم والتشويه.

وقد وُجّهت الكثير من الانتقادات لهذه الدراسات الاستشراقية سواء في بعدها عن تقمّي الحيات، أو في انتقاءها للمواضيع، وكذلك للمناهج التي طبقوها على الإرث الفكري، كما وجّه العديد من الناقدين النظر إلى الجانب السياسي أو الفعالية العملية -بتعبير "مالك بن نبي" (1905-1973 الجزائر) - للنتاج الاستشراقي وكيفية توظيفه في الشأن السياسي، ونجد مثل هذه الانتقادات الحادة عند "إدوارد سعيد" (1935 القدس - 2004 نيويورك) الذي عدّ الاستشراق مطيّة الكولونيالية وأداة الاستبداد.

وعلى الرغم من أهمية الانتقادات الموجهة للاستشراق وكثرتها تغدو الانتقادات الداخلية له هي الأهم؛ لأنها تؤكد للباحث وتبصر بصيرته على تعدد المدارس الاستشراقية وتطورها، وإلى كون الاستشراق قادر على توليد أدوات للنقد من داخله.

وقدم المستشرق "جورج مقدسي" (1920 - 2002م)<sup>1</sup> انتقادات جذرية لكثير من المستشرقين ورأى أن انحرافاً منهجياً جعلهم يطمسون مدرسة كاملة بالهرطقة والتهميش والتعصب وهو يقصد بذلك المدرسة الحنبليّة<sup>2</sup>. ويُقدّم الأسباب التي دفعتهم لذلك، ويفند ادعاءات العديد من المستشرقين وينقذ مصادره، كما يُظهر العلاقات الجدلية بين كل من الحنبليّة وعلم الكلام والتصوف<sup>3</sup>.

### أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة لإظهار الأخطاء المنهجية التي وقع فيها المستشرقون في الحكم على المدرسة الحنبليّة كما بينها "جورج مقدسي"، وتُظهر مدى اتساع هذه المدرسة ومرونتها وكيفية دخول مجموعة من المتشددین عليها مما جعلها تصطبغ في الأذهان بكونها مدرسة أصولية متشددة. وإظهار مدى أهمية الدور التاريخي الذي ساهمت فيه هذه المدرسة وتأثيرها في الأحداث. ومن جانب آخر فإنّ النتائج المسبقة لا تعني أخذ موقف على النقيض وإخراج هذه المدرسة بصورة هجينة عنها تاريخياً ثم استخدام هذه الصورة لتحقيق سياسات عالمية مدروسة.

مشكلة الدراسة: تأتي مشكلة الدراسة في سؤال؛ إلى أي مدى ساهمت آراء جورج مقدسي العلمية في نقد أخطاء المستشرقين المنهجية في دراساتهم عن المدرسة الحنبليّة، ويتفرع عن ذلك عدة أسئلة وهي:

1- ما المنهج العلمي الذي اعتمده "جورج مقدسي" في النقد الاستشراقي؟

2- هل نزعته النقدية موضوعية حين كلامه عن علاقة الأشاعرة بالحنبليّة من جهة، والصوفية من جهة أخرى؟

## أهداف الدراسة:

- 1- عرض لأبرز الانتقادات التي وجهها "جورج مقدسي" للمستشرقين.
- 2- توضيح العلاقة بين كل من المدرسة الحنبلية والأشاعرة من جهة، وبين المدرسة الحنبلية والصوفية من جهة أخرى.

**منهج الدراسة:** تتبع في هذه الدراسة عدة مناهج كان أهمها:

- 1- المنهج "الوصفي التحليلي" بحيث أظهرت المواضيع والاستنتاجات التي تناولها "جورج مقدسي" في مؤلفاته وقمت بتحليلها.
- 2- المنهج الاستقرائي: اسقري البحث مؤلفات "مقدسي" المختلفة ونتائج حول المدرسة الحنبلية.
- 3- المنهج النقدي: انتقدت بعض النتائج والأفكار التي توصل إليها "مقدسي".

## الدراسات السابقة:

- 1- دراسة عرض ونقد لكتاب الأشعري والأشاعرة في التاريخ الديني الإسلامي: أنيس مورو، ط.1، بيروت، 2018، دار نماء للبحوث والدراسات. الدراسة جاءت لعرض آراء "جورج مقدسي" فيما يتعلق بالمدرسة الأشعرية، وقام بنقد لبعض هذه الآراء. وتتقاطع دراستي مع جانب من هذه المراجعة في مطلب تحدث فيه "مقدسي" عن علاقة كل من الحنبلية بالأشاعرة ونقد الآراء الجاهزة عن مصادر الأشاعرة -السبكي أنموذجاً- وإعادة النظر في وظيفة المدرسة النظامية التي لم تنشأ لخدمة الأشاعرة بل كان لها وظيفة أخرى بحسب مقدسي.
- 2- دراسة محمد مصباح بعنوان: النقد الذاتي للاستشراق -جورج مقدسي أنموذجاً، مجلة دراسات إستشرافية، ع.32. سعت الدراسة إلى تتبع موقف "مقدسي" النقدي لمنتوج الخطاب الاستشراقي، وخرجت الدراسة بأن "مقدسي" كان له انتقادات للمستشرقين من جهة وقبول لآراء أخرى. أما دراستي فمبحث منها اهتم بانتقادات مقدسي لمنتوج الاستشراقي فيما يتعلق بالمدرسة الحنبلية تحديداً.

## أولاً: التمهيد ( الدراسات الاستشراقية حول المدرسة الحنبليّة )

لم تحظ المدرسة الحنبليّة بالعناية الاستشراقية بشكل كبير كما حظيت بذلك المدارس الكلامية والمذاهب الفقهية الأخرى حتى أحدث "هنري لاووست" (1905 - 1983م)<sup>4</sup> انحرافاً هاماً في التوجهات الاستشراقية للعناية بهذه المدرسة والتأكيد على أنها مكوّن تأسيسيّ في الثقافة الإسلامية ولها دور اجتماعي وسياسي فاعل في التاريخ؛ فقد كتب لاووست كتابه "نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع" الذي ظهر سنة 1939م.

ويُعلّق "مصطفى حلمي" ( ولد 1932م) الذي قدّم للكتاب بأنه أضخم الكتب التي ظهرت عن شيخ الإسلام "ابن تيمية" (661-727هـ) من حيث الحجم، ومن حيث سعة البحث، وبذل فيه لاووست جهداً كبيراً في الجمع والتصنيف ووفرة المادة.<sup>5</sup>

كما كتب "لاووست" مقالة "الاضطرابات الدينية في بغداد في القرنين الرابع والخامس الهجريين" عمل فيها على إظهار الأثر الاجتماعي والسياسي للمدرسة الحنبليّة، وله دراسة عن "أحمد بن حنبل" (164-241هـ) كما ألّف العديد من الكتب التي تمتاز بالعرض التاريخي الواسع.<sup>6</sup>

ولقد أسس لاووست لاتجاه جديد في دراسة المدرسة الحنبليّة، وفي توجّهها العقدي والفقهية، فكان ذلك سبباً للكتابة عن "ابن تيمية"، كما قام بدراسة دور الحنابلة في التاريخ الاجتماعي والسياسي من خلال قيادتهم للعامة في بغداد في القرنين الرابع والخامس.<sup>7</sup>

وسار "جورج مقدسي" على إثر أستاذه "لاووست" في العناية والبحث في هذه المدرسة واهتمّ على وجه الخصوص بدراسة "ابن عقيل" (431-531هـ)<sup>8</sup>، كما أنجز إنجازات لافتة في إظهار دور الحنبليّة وآثارهم وأدوارهم، وكان إنجاز الرئيس متمثلاً في أعماله الكبرى عن المدارس في الإسلام الكلاسيكي، ثم عن تأثيرات فكرة المدرسة وبرامجها في نشوء الجامعات في الغرب الأوروبي الوسيط وظهور التيار الإنساني.<sup>9</sup>

وكتب "مقدسي" كتابه "الإسلام الحنبلي" للتدليل على المكانة التي احتلتها المدرسة الحنبليّة في تاريخ الفكر الديني الإسلامي حيث يُبين أن الحنبليّة تقع في أصل تكوين أهل السنة والجماعة، واعتبر الحنبليّة عقيدة سنية محافظة مثلها مثل الأشعرية، وتقع في قلب الجماعة المسلمة،

وهي منذ ولادتها كانت تحمل على عاتقها مهمة حماية سنة الرسول ﷺ وتراثه سواء في داخل الجماعة المسلمة نفسها، ثم ضد كل من يهاجمها من خارجها، وقد أورثها هذه المهمة المؤسس "أحمد بن حنبل" الذي كان بطل محاكم التفتيش على حد تعبيره.<sup>10</sup>

وكان قد انتقد آراء المستشرقين أمثال "جولدتسيهر" (ت: 1921م)<sup>11</sup>

و"ماكدونالد" (ت: 1943م)<sup>12</sup> في مصادرهم واستنتاجاتهم حول هذه المدرسة وأظهر مدى الأخطاء العلمية والمنهجية التي وقع فيها المستشرقون عند حكمهم عليها.

وقد انعكست معرفة "مقدسي" بالتراث الإسلامي وكثرة مطالعته لمخطوطاته على أحكامه حيال آراء أهم المستشرقين؛ إذ لم تخل انتقاداته عليهم من أدلة وشواهد قابعة في التراث.<sup>13</sup>

غير أن كثرة استخدام التراجم والكتب والتصرف كالمؤرخ لا يخرج عن عمل المستشرقين في تحويل المصدر الدال على عمل تاريخي معين إلى حلم ثم يؤوله على هذا الأساس بتعبير "العروي" (ولد: 1933)، فيتكبر للسياق ويقرأ الحدث التاريخي وفق مخيلة مسبقة تخدم غرضه.

ويرى "مقدسي" أن من أهم مميزات المذهب الحنبلي هو في كونه المذهب الوحيد الذي احتفظ بصفة مزدوجة بجمعه ما بين علم الكلام والفقه وبهذا كان له نتيجة واضحة جليلة في التاريخ الديني للإسلام، ويرى بأن حركة أهل الحديث بلورت شكلها النهائي سواء في الفقه أو الكلام بتأسيس المذهب الحنبلي.<sup>14</sup>

ويصف دراسات المستشرقين في القرن التاسع عشر بأنها ألد أعداء الدراسات الحنبلية، ويُرجح السبب في هذا العداء إلى عاملين:

أولاً: إن إسلام القرن التاسع عشر كان يتمثل في عين أوروبا بصورة تركيا.

وكان ثمة علاقات دبلوماسية بين الطرفين قائمة منذ بضعة قرون، وكانت تركيا ووهابيو السعودية على خلاف جعلهم يصفون الوهابية بالتبديع.

إذ يرى بأنه لو عدنا إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر لوجدنا أنه كان محتوماً أن يظهر الحنابلة بمظهر مضلل ليس لهم. فقد كان الغرب يرى الإسلام من خلال تركيا وعلاقته منذ زمن السلطان سليمان القانوني والملك فرنسو الأول. هذا ما جعل محتوماً في أن يرى الغرب الحنبلية

بالوجه التي أسقطته تركيا عليهم. وأيضاً أظهرت الوهابية ابن تيمية المجهول وكأنه خصم "للغزالي" المعروف جيداً في الغرب منذ العصور الوسطى تحت الاسم اللاتيني "الغازل".

ثانياً: أتباع المذهب الحنبلي كانوا أقل عدداً بالنسبة لأتباع المذاهب الفقهية السنية الأخرى، ويذكر "مقدسي" أنّ "كارل بروكلمان" (1868-1956م)<sup>15</sup> في تأريخه للأدب العربي اكتفى بالحديث عن المذاهب الفقهية السنية الثلاثة: الحنفية، الشافعية، المالكية. جاعلاً من المذهب الحنبلي في مستوى المذاهب الهامشية أو التي لا تستحق الذكر. ويتنبه بروكلمان فيما بعد إلى وجود المدرسة الحنبلية تقف إلى جانب المذاهب السنية الأخرى عند الحديث عن القاضي "أبي يعلى" في القرن الخامس الهجري.<sup>16</sup>

ويذكر العوائق التي تواجه الدراسات الإسلامية وخاصة ما يتعلق منها بالتاريخ الديني الإسلامي، ويرى أن هذا الحال سيبقى متأثراً بندرة المصادر طالما بقيت مخبأة في مكنتات الشرق والغرب دون استثمارٍ من أحد. ويضرب على ذلك مثالين؛ أعمال "كارل بروكلمان" و"فؤاد سركين" (1924-2018م)<sup>17</sup> البيلوغرافية. والتي تعد ناقصة إذ إنها لا تحتوي على عناوين المكتبات التي يمكن الإطلاع على دليل موجوداتها. كما هنالك العديد من المكتبات التي لا تزال موجوداتها غير مفهرسة تكون غالباً مجرد لوائح غير منشورة حتى الآن.<sup>18</sup>

ويشير "مقدسي" إلى تجربته الشخصية في دراسة مخطوطة كتاب الفنون لـ"ابن عقيل"؛ وهي محفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية وتتكون من 267 ورقة ويحتوي المؤلف حالياً في الطبعة التي حققها على 700 صفحة مطبوعة، غير أنه يؤكد أن هذا المؤلف الذي كتبه "ابن عقيل" في عداد الأربعة أشهر هو في حقيقته مكون من مئتي جزء من الحجم نفسه، فالكتاب حوالي مئة وثمانين ألف صفحة!<sup>19</sup>

ويُخصّص الحديث عن علاقة الحنبلية بالتصوف ويذكر أعلام الصوفية من هذه المدرسة وذلك في مراجعة ونقد لآراء المستشرقين في علاقة كل من هاتين المدرستين والادعاء بنفرتهما وعداوتهما. كما يُخصّص الحديث عن الحنبلية والأشاعرة وحاول بيان المنافسة بين المدرستين في حقل الفقه الشافعيّ.

ويبدو واضحاً أن هدف "مقدسي" بدراسته للحنبلية كان لإظهار ما هو "متخيل" و"زائف" -بتعبير "رائد السهموري"<sup>20</sup>- عند اتجاه استشرافي محدد؛ إذ حُمِلت هذه المدرسة صورة متخيّلة أو لأقل قالب مفهومي دلّلته التعصب والأصولية والانغلاق والتهميش، في حين أن حفريات في المصادر وإعادة قراءة للتراث الفكري سيكشف عن صورة مخالفة للمتخيّل المزعوم. لكنّ "مقدسي" سيخرج عن هذا المتخيّل إلى متخيّل آخر في نتائجه التي ستُظهر الحنبليّة بلباسٍ آخر يدعم الأطروحات السلطويّة ويُشكل حقيقة أخرى للمذهب مما يسهل للعالم الغربي التعامل معه.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات الحنبليّة بعد "مقدسي" لم تتواصل بشكل مكثّف سوى أعمال قليلة معدودة ككتاب المستشرق البريطاني "مايكل كوك" "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي" والذي أكّد فيه على أهمية هذا المبدأ عند المدرسة الحنبليّة بل إن فاعليته وتطبيقه عندهم كان أكثر وضوحاً من المعتزلة<sup>21</sup> الذين جعلوه أصلاً من أصولهم الخمسة.

وفي التسعينيات وبعد الأحداث التي تلتها من وظهور الأصوليات الجديدة تكتّفت الدراسات حول الحنبليّة وخاصة عن ابن تيمية، نجد ذلك عند "جون هوفر" وكتابه: "ابن تيمية - حياته وفكره-" و"يحيى ميشوت" في كتابه "ابن تيمية ضد التطرف" وغير ذلك من الدراسات التي كانت تهدف إلى بيان علاقة الأصوليات به بين المبرّئين والمتهمين، كما كشفت دراسات عن آراء "ابن تيمية" في الإصلاح السياسي أو في اللغة أو في نقد الفلسفة والمنطق الأرسطي وغير ذلك من الدوافع والتوجهات.

وقد باتت الدراسات حول الحنبليّة في وقتنا الراهن كثيفة بل باتت "موضة" على حدّ تعبير "عبد الله السيد ولد أباه" (ولد: 1963م)، ومن حيث تبدو هذه القراءات منصفة في بعضها وموضوعية غير أنّها لم تسلم من توظيف أيديولوجي وذلك لإدارة مشهد الجماعات الإسلامية وكيفية استخدامها من قبل السياسات العالمية.



ثانيًا: انتقادات جورج مقدسي للمستشرقين.

## 1- نقد المصادر:

يُعاني الباحثون في مجال الدراسات الإسلامية من عدّة إشكاليات مُتعلقة في المصادر؛ ومن بينها كما ذكر "مقدسي" أنّ كثيرًا من هذه المصادر لم تصلنا ولم نعرف عنها سوى عناوينها. فعند تصفّح بعض الأعمال البيبليوغرافية كفرست "ابن النديم" (ت. 438هـ)<sup>22</sup> كشف الظنون لـ "حاجي خليفة" (ت: 1067هـ)<sup>23</sup> ترد أسماء لكتب لم تصلنا.<sup>24</sup>

ومن بين الإشكاليات كذلك تلك التي تتعلق بتحقيق النصوص الموجودة ونشرها وهي من أهم العوائق التي واجهت الدراسات الإسلامية وعلى الأخص التاريخ الديني الإسلامي، ويرجع السبب في هذه التعقيدات إلى صعوبة اللغة وتعقيد المصطلحات العلمية التقنية في العلوم الدينية الإسلامية، كما أن التحقيق بحدّ ذاته عمل شاق ومتعب.<sup>25</sup>

ويُنتقد "مقدسي" منهجية المستشرقين في تحقيق النصوص ويرى أنّها لا تبعث على الرضا خاصة فيما يتعلق بالمدرسة الحنبليّة، وقد عرض دراسة بيبليوغرافية وضعها "غوستاف بفاغمولر"<sup>26</sup> نشرت عام 1923 تناول فيها حالة الدراسات الإسلامية وقد عقد في الفصل الخامس الدراسات المهمة في الحنبليّة، ومن بينها دراسة الأميركي "والتر باتون" (ت: 1925م)<sup>27</sup>، و"جولدتسيهر" و"ماكدونالد" وغيرهم من المستشرقين، ويُعلّق "مقدسي" أنه لا أحد من المذكورين مختصّ بدراسة المذهب الحنبلي في حدّ ذاته باستثناء "جولدتسيهر".<sup>28</sup>

إنّ "جولدتسيهر" -بحسب مقدسي- رغم عنايته بالمدرسة الحنبليّة إلا أنه كان مصدرًا لترويج ومتابعة الأخطاء الشائعة الملتصقة بها في داخل الدراسات الاستشراقية. كما أن نتائجه القائلة بأنهم مجسمون ومتعصبون يتردد صداها عند المستشرقين من بعده؛ لقد حاول "جولدتسيهر" تلم صيتها. ومن بين الذين ساروا على إثره المستشرق "ماكدونالد" وقد كانا معًا معارضين بشدّة للحنبليّة.<sup>29</sup>

و "جولدتسيهر" بحسب "مقدسي" يفتقر إلى الرؤية الواضحة فيما يتعلق بالمدرسة الحنبليّة وهذا يرجع إلى طبيعة المصادر التاريخية المطبوعة التي أتيت له في مطلع القرن العشرين، فمقدسي

يتهم هذه المصادر بتحيزها ضدّ الحنبليّة وهي التي أسست رؤيتنا المتعلقة بها وعلى الرغم من توفر مصادر أخرى فيما بعد غير أن الانطباعات القديمة ظلت قائمة على حالها.<sup>30</sup>

كما أنه يعتبر هذه النظرة المتزلفة للحنبليّة لا تدين فقط "لجولدتسيهر" والباحثين في الإسلاميات بل كذلك للمصادر الرئيسة التي اعتمدها الباحثون والتي كانت خاضعة للتوجيه، ويُنبّه القارئ بأن المصادر كانت إما غير مبالية للحنبليّة أو قاسية بعنف تجاهها. أما المصادر الحنبليّة في حدّ ذاتها فقد أُهملت سواء المخطوطة منها أو المطبوعة.<sup>31</sup>

ويضع ملاحظاته حول مصادر قديمة اعتمدها المستشرقون في دراستهم للحنبليّة؛ فيتّهم "السبكي" (653-756 هـ)<sup>32</sup> في طبقاته بالمعاداة القويّة للحنبليّة مع أنه يُظهر بالغ الاحترام "لأحمد بن حنبل"، ويلاحظ "مقدسي" أن "السبكي" بذلك قد فصل بين الإمام وأتباعه. وعلى هذا الأثر سارت دراسة "والتر باتون" الذي اعتمد على السبكي في حديثه عن "أحمد بن حنبل" حيث إنه لم يُخصّص للأتباع سوى آخر سطرين من كتابه فكانت استنتاجاته متوقعة بشكل مُسبق في فصل الإمام عن الأتباع ووسم الأخيرين بالتحسيم.<sup>33</sup>

ويرى بأن "السبكي" الذي عني أساساً في طبقاته بالتأريخ للمذهب الشافعي وطبقات فقهاءه استثمر كتابه لتقرير مذهبه الأشعريّ وقد أكد ذلك بسبل متنوّعة؛ فمثلاً إذا تطرّق إلى وقائع تسيء إلى الأشعريّة تأوّلها أما إن كانت مشهورة صعب كتمانها لم يُعلق عليها، في حين أن الحنابلة الشوافع قدم لهم نصيباً وافراً من النقد واتهمهم بتعاطفهم مع الحنابلة -عقيدة وفقّها- وأقام حاجزاً نفسياً بين أهل الحديث و الشوافع.<sup>34</sup>

وأما المصدر الآخر الذي اعتمد عليه الباحثون هو ذيل طبقات الحنابلة "لابن رجب" (736-795)<sup>35</sup> غير أنه لم يحظَ بالمرجعيّة كما حظي به "السبكي" أو أي واحد آخر من المؤلّفين، وعلى الرغم من أن "مقدسي" يُشيد بتأريخ "ابن رجب" لمرحلته وسيرة أصحاب مذهبه غير أنه يرى تحيزاً مُسبقاً عنده؛ فالتجاهه النقلي التقليدي جعله يُنَدّد بأصحابٍ من مذهبه يوصفون بالتحرّر مثل "ابن عقيل"، ويرى "مقدسي" أنه عندما نريد دراسة "ابن عقيل" على سبيل المثال فينبغي الحذر ممّا كتبه "ابن رجب".<sup>36</sup>

فقد تنبّه "مقدسي" أن "جولدتسيهر" قد رجع إلى "السبكي" ولم يبين مآلاً تنزوعه إلى علم الكلام ضدّ أهل الحديث الذين يُشكلون أغلبية في مذهبه الفقهي الشافعي، وأنه اتخذ من "ذيل طبقات الحنابلة" مرجعاً في حين أن صاحبه يميل إلى العقلية الأثرية وينتقد المتحررين وأصحاب الرؤية التحديثية من مذهبه. ولذلك لا يمكن للدارس أن يقبل بغير نقاش وتمحيص مقولات السبكي عن الأشعرية ولا مقولات ابن رجب عن ابن عقيل لكن هذا بالضبط ما قام به "جولدتسيهر" وتسبّب في إنتاج أفكارٍ خاطئة عن الحنبليّة.<sup>37</sup>

وعند النظر إلى هذه الزاوية النقدية التي أثارها "مقدسي" نحو المصادر التي اعتمد عليها المستشرقون نجد أنها محققة من جانب؛ ف"باتون" وإن كان قد اعتمد على مصادر عربية مثل حلية الأولياء "الأبي نعيم الأصبهاني" وطبقات الشافعية الكبرى "للسبكي" وتاريخ بغداد "للخطيب البغدادي" غير أنه لم يرجع إلى مؤلف "أحمد بن حنبل" الأهم "المسند" واعتمد في الإشارة إلى هذا المصدر على "جولدتسيهر"، كما أنه رجع إلى كتب الطبقات كمادة علمية تاريخية زاهرة بتفصيلات قد لا تذكرها الكتب التاريخية في حين أن كتب الطبقات لا تخلو من مناسبات مذهبية ينتصر فيها المؤلف إلى أتباعه وينحاز إليهم وقد لا يكون موضوعياً في بعض الأحيان.

ويقع "مقدسي" بخطأ كبير في تحامله على "ابن رجب" فإنه لما ترجم "لابن عقيل" مدحه وذكر فرط ذكائه واتساع علومه وخبرته في علم الكلام وثمّ دقّه للكلام وأهله.<sup>38</sup>

ويذهب أيضاً إلى القول بأنّ أعمال المتخصصين في الدراسات الإسلاميّة في القرن التاسع عشر والعشرين تُعاني من نقصٍ هائلٍ في التفكير النقدي حيال النصوص التي يدرسونها ويصفهم مقدسي بأنهم فقهاء لغة لا علماء تاريخ، فهؤلاء من حيث إنه كان يجب أن يتساءلوا عن الأحكام المسبقة التي تحملها هذه النصوص أخذوها بثقة وطواعية كمصدرٍ لأعمالهم.<sup>39</sup>

ويقدم على ذلك مثلاً إذ ادّعى أنّ لغة هذه المصادر قد عملت على إحداث مشكلة وجعلت الرؤية غير واضحة للباحثين؛ فعند الحديث عن علاقة كل من الحنبليّة والتصوف نجد مشكلة اللغة تتضح في مصادر الحنبليّة ذاتها، على سبيل المثال فإن "ابن رجب" عندما ترجم "للأنصاري الهروي" (396-481هـ)<sup>40</sup> وصفه بكونه "الصوفي" أما "الجيلاني" (470-561هـ)<sup>41</sup> فأشار إليه بـ "الزاهد"، ويستنتج مقدسي بأن "ابن رجب" لم يستشعر حاجة إلى وضع الخيطة فيما

يتعلق بالتصوف في طبقات المذهب الحنبلي، واصطناعه لمصطلحي "الصوفي" و "الزاهد" يدلان على إمكانية القول بأنهما يُستخدمان بالتناوب.<sup>42</sup> ويقع "مقدسي" بتلك النتيجة كذلك في خطأ مفاهيمي ومنهجي، وذلك لعدة أسباب منها:

- لا يطلق على كل زاهد صوفي وإن كان كل صوفي زاهداً؛ فالهروي والجيلاني كانا بالفعل صوفية حنابلة لكن ليس كل الحنابلة صوفية كما يريد أن يوهمنا.
- إن حركة الزهد كانت سابقة لظهور التصوف.

## 2- نقد النتائج العلمية.

لا يكفي "مقدسي" بتقديم انتقادات للمستشرقين والباحثين في الإسلاميات في مصادرهم فحسب، بل ينتقد النتائج التاريخية التي توصلوا إليها ومدى جهودية هذه النتائج في عقليتهم، وتغدو المشكلة كذلك أن الدراسات اللاحقة تُبنى على أفكار خاطئة باتت مسلّمات عند الباحثين.

يرى مثلاً أنه تمّت صياغة شكل "ثالوث مقدس" للتاريخ الإسلامي ينحو نحو اتجاه معيّن، هذا الثالوث الذي صاغه كل من "جولدتسيهر" و "ماكونالد" مبني على<sup>43</sup>:

1- "الغزالي" (450-505هـ)<sup>44</sup> المتكلم والفقيه، وُقِّدَ على أنه تلخّص من الكلام والفقه لصالح التصوّف.

2- أتباع المدرسة النظامية المعتبرة على أنها معهد أشعري رسمي.

3- أن الوزير السلجوقي "نظام الملك" (408-485 هـ)<sup>45</sup> هو الذي قام بترسيخ دعائم "سنية جديدة" هي الأشعرية.

ويُقَدِّم "مقدسي" مؤاخذات على هذا التقسيم الذي أنزل كل من المعتزلة والحنابلة وكل حركة ذات طابع ديني إلى مرتبة أدنى، معتبراً أن الحركات الأخرى باتت "ضحية" للهيئة الساحرة التي يُسبغها التاريخ بصورته هذه ولا يزال يُسبغها على قرائه حتى الآن.<sup>46</sup>

ويعرض دراسة "هنري باتون" حول "أحمد بن حنبل" في حديثه عن محوريات هذه الشخصية ومرحلته الشهيرة في "محاكم التفتيش" أو المعروفة باسم "الحنة"<sup>47</sup> حيث كان "ابن حنبل" ضحيتها لما

تصدّى للمعتزلة في حين كانوا مدعومين من قبل الخلفاء العباسيين، ويرى "باتون" أنّ صرامة أساليب وآراء "ابن حنبل" واشتمزازه من التعميم والاستنتاج كانا سببان لمنع توريث نظام فقهيّ ما. كما أن العقيدة التي قدمها كانت مفتقرة إلى النسق المنهجيّ.<sup>48</sup>

ولا ينتقد "مقدسي" ما يعرضه "باتون" من هذه الاستنتاجات حتى يصل إلى أن هذا الأخير اعتبر "ابن حنبل" إماماً صارماً ونعته بالتجسيم. ويُعقّب أن "باتون" قد غفل عن مبدأ "بلا كيف" لدى "ابن حنبل" والذي انتقل فيما بعد إلى الأشعرية، غير أن باتون لم يُعره اهتماماً.<sup>49</sup>

وإن محاولة "مقدسي" إزالة قحمة الاستشراق بوسم المدرسة الحنبليّة بالتجسيم والتشبيه هي محاولة جيدة، لكن من باب العدالة أيضاً أنه قد وجد في المدرسة من يقول بالتجسيم، وإلى ذلك أشار "ابن تيمية"، لكن لا يعني ذلك أنّ علماء المذهب ساروا على هذا النحو وكان قولاً معتمداً، غير أن ما سعى إليه الاستشراق هو التعميم والناتج الناجزة من غير تفصيل.

يقول "ابن تيمية": " فِي الْحَنْبَلِيَّةِ أَيْضًا مُبْتَدِعَةٌ؛ وَإِنْ كَانَتْ الْبِدْعَةُ فِي غَيْرِهِمْ أَكْثَرَ وَبِدْعَتُهُمْ غَالِبًا فِي زِيَادَةِ الْإِبْتَاتِ فِي حَقِّ اللَّهِ وَفِي زِيَادَةِ الْإِنْكَارِ عَلَى مُخَالَفِهِمْ بِالتَّكْفِيرِ وَغَيْرِهِ؛ لِأَنَّ أَحْمَدَ كَانَ مُثَبِّتًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ؛ مُنْكَرًا عَلَى مَنْ خَالَفَهَا مُصِيبًا فِي غَالِبِ الْأُمُورِ مُحْتَلِفًا عَنْهُ فِي الْبَعْضِ وَخُحَالِفًا فِي الْبَعْضِ...<sup>50</sup>

فإن رأي "باتون" واتخذة كذلك "جولدتسيهر" في وصف الحنبليّة بالتجسيم وكأن هذا معتمد وعام بالمذاهبات يتردّد عند المستشرقين والباحثين في الدراسات الإسلاميّة، إن هذه الحالة أشبه بـ "سلفية استشراقية"<sup>51</sup> إذا أردنا الاستعارة من "الجابري" (1935-2010م)؛ وهي قراءة تقدّم نفسها بأنها تتوخى الموضوعية وتلتزم بالحياد وتنفي أن تكون لها دوافع نفعية أو أهداف أيديولوجية، في حين أنّ ما أنتجه المستشرقون وخاصة المتعلّق بحديثنا عن المدرسة الحنبليّة بعيد تماماً.

ويتابع "مقدسي" بعد ذلك بوضع ملاحظاته حول دراسة "جولدتسيهر" للحنبليّة رغم إشاداته به بصفته عالماً من درجة رفيعة إلا أنه استطاع أن يوجه انتقادات واسعة لأفكاره.<sup>52</sup>

وقد سبق وعرضت انتقاداته للمصادر المعتمدة لكنه لا يتوقف عند ذلك بل يوجه استنكاراً واسعاً لاستنتاجاته المغلوطة، وبذلك استطاع مقدسي تفويض أو لأقل تقزيم القراءة "السلفية الاستشراقية" التي أحدثها "جولدتسيهر" في حديثه عن الحنبليّة.

ويبين "مقدسي" أسباب كتابة "جولدتسيهر" وتعرضه للحنبلية؛ حيث جاءت الدراسة لارتباطها بدراسته حول الظاهرية<sup>53</sup> إلا أنه خصّص دراسة عنها بشكل مستقلّ وقَدّم فيها لكتاب "باتون" وعلّق عليه. ومن ضمن تعليقات "جولدتسيهر" على باتون أن الأخير لما اعتبر الحنابلة قليلي العدد ولا يستحق مذهبهم الذكر كان يُشكل هذا المذهب أشد أنواع الخواص والذاتية، ويرى "جولدتسيهر" أن الحنابلة أخوا نجاح علم الكلام الأشعري لمدة قرن ونصف. ويعزو ذلك إلى صرامة الكلامية الأصولية ونقدهم للعادات والأخلاق.<sup>54</sup>

ومما يجب توضيحه أن قلة أتباع المدرسة الحنبلية كانت لها أسبابها المختلفة وقد قام "مقدسي" بعرض واحدة منها نقلاً عن "ابن عقيل" الذي ذهب إلى القول بأن أصحاب "أبي حنيفة" و"الشافعي" إذا برع واحد منهم في العلم تولى القضاء وغيره من الولايات في حين كان أصحاب أحمد" إذا تعلق أحدهم بطرف من العلم خرج به إلى التعبد والتزهد.<sup>55</sup>

كما أوضح "أبو زهرة" عدّة أسباب تندرج كأسباب سياسية أو اجتماعية نتج عنها قلة أتباع المذهب، منها على سبيل الذكر: أنه آخر المذاهب الفقهية الأربعة وجوداً، وكان أحمد وأتباعه لا يقربون السلطان ولا يحبّون الولاية ولا يسعون إليها—وهذا ما نقله مقدسي عن ابن عقيل— وإذا كان سلطان القضاء له أثر في نشر المذهب الحنفي فإن عدم تولي الحنابلة للقضاء كان سبباً في قلة ذبوع المذهب الحنبلي. ويذكر سبباً اجتماعياً يتعلق بسمة التعصب التي كان عليها أكبر أتباع المدرسة ليس على الجانب العقديّ فقط بل كذلك في الفروع الفقهية.<sup>56</sup>

ويتحدّث "مقدسي" عن تدليلات "جولدتسيهر" و"ماكدونالد" في عدّ الحنبلية "أرثوذكسية، سنية إسلامية قديمة" وقفت في وجه "الارثوذكسية الجديدة" -يعني بهم الأشاعرة- وذلك في الردّ على الأتراك الذين عدّوهم مبتدعة. إلا أن هذه الصفة التي أضفاها المستشرقان لم تكن لإعطاء الحنابلة اعتباراً بل أدّى ذلك إلى إطلاق أحكام واتهامات باطلة ضدهم وذلك بعدّهم مجسمة، وحرفيون، ويعارضون الأصوليين المتكلمين وأتباع الصوفيّة، وأنهم غير متسامحين ومتعصبين.<sup>57</sup>

غير أن "مقدسي" هو أيضاً لم يستطع الخروج عن التعميمات الجاهزة والنتائج البحثية الرائجة عند المستشرقين، ففي كتابه "نشأة الكليات" اعتبر أن انتصار أهل السنة بعد المحنة ترتب عليه إخماد التفكير العقلي!<sup>58</sup> وبذلك هو يرمي النتائج الفقهي والكلامي والفلسفي بعد المحنة بأنه لم يكن عقلياً وهذا مجانب للصواب؛ بل لقد تشكّل بعد انتقاد الغزالي للفلاسفة تيار عقلانيّ جديد أوضح ملامحه "فرانك غريفل"<sup>59</sup> الذي تناول الحديث عن شكل آخر من العقلانية ذروته التأسيس للعلاقة الجدلية بين العقل والنقل عند المتكلمين وخاصة "الغزالي" و"الرازي" (544-605هـ) والعقلانية الشرعية عند "ابن تيمية".

أما نتائج "جولدتسيهر" وغيره من مستشقي القرن التاسع عشر والعشرين فتبدو لي أيديولوجيا لا تخرج عن خصائص "الخطاب" كما بيّن "إدوارد سعيد" مستفيداً من "ميشيل فوكو" (1926-1984)<sup>60</sup> حيث وقع المستشرقون بقراءة إسقاطيّة؛ فعلى سبيل المثال سمّى "جولدتسيهر" الأشاعرة والحنابلة بـ "الأرثوذكسيّة" فأسقط موروثه اليهودي على الموروث الإسلامي. وليس ذلك فحسب بل باتت آراء "جولدتسيهر" وغيره تمثّل لخصائص الخطاب؛ فأفكاره تتردد بوجاهة عند المستشرقين من بعده كسلطة دون وعي أو بوعي متعمّد.

ثالثاً: نقد جورج مقدسي لعلاقة الحنبليّة بالمدارس الإسلامية.

## 1- علاقة الحنبليّة بالأشاعرة.

وضع "مقدسي" كتاباً مستقلاً يحمل عنوان "الأشعري والأشاعرة في التاريخ الديني الإسلامي" لكن ما يعيننا في بحثنا هذا علاقة الأشعرية بالحنبلية من وجهة نظره فبحسب "مقدسي" ثمة أخطاء تاريخية كبيرة في دراسة هاتين المدرستين.

ينوّه "مقدسي" إلى دراسته السابقة التي تناول فيها أعمال مؤرّخين رئيسين للحركة الأشعرية وهما: "ابن عساكر" (499-571 هـ)<sup>61</sup> و"السبكي" إذ كان عندهما أحكام مسبقة وواضحة جدّاً ضدّ الحنبليّة وضدّ زملائهم الشافعيين المنتمين إلى أهل الحديث ومع ذلك فإن المؤرخين لكتابة تاريخ الأشاعرة وعلاقتهم بالحنبلية اعتمدوا على هذين المصدرين ولا تزال الاستنتاجات التي توصّلوا إليها تطبع حتى الآن.<sup>62</sup>

والناظر في التطور التاريخي للعقائد الإسلامية يلحظ أنه يشيع بينها فكرة التمثيل الأشعري لجماعة أهل السنة والجماعة خلال القرن الخامس الهجري وقد عزا فريق سيادة المذهب الأشعري إلى ظهور المدرسة النظامية غير أن "مقدسي" ينفي هذه الاستنتاجات وقد أبطل هذه الادعاءات في دراسة له تحمل عنوان: **"Muslim Institutions"**<sup>63</sup>

وتحدّث "مقدسي" عن النظام المدرسي في الإسلام ودور العلم<sup>64</sup> ليصل إلى نقد "ابن الأثير" (555-630هـ) - المؤرخ الشافعي الأشعري - الذي لم يذكر في كتابه **"الكامل في التاريخ"** إجازة المدرسة النظامية، لقد استطاع مقدسي من خلال دراسته أن يكشف نصّ الإجازة وكتاب الوقف الذي يحمل الأحكام المتعلقة بالمستخدمين في المدرسة من خلال كتاب "ابن الجوزي" (510-597هـ) **"المنتظم"**.<sup>65</sup>

ولقد أراد بذلك الرد على الأقوال الجاهزة التي ترى أن "نظام الملك" أسّس المدرسة للرد على الإسماعيلية<sup>66</sup> والمدّ الشيعي وذلك بدعم العقيدة الأشعرية. ومن خلال الوثيقة يكشف "مقدسي" أن المراد غير ذلك بل إن النظامية لم تكن تُدرّس علم الكلام أصلاً. إن أهمية الوثيقة تأتي بأسماء المستخدمين الذين يرد ذكرهم وهم: مدرسو الفقه، الخطباء، أمين المكتبة. عليهم أن يكونوا من أتباع المذهب الشافعي سواء في الفقه أو أصول الفقه. ثم ذكرت الوثيقة معلمي القرآن ومعلم قواعد النحو ولم تذكر الإجازة أن عليهم أن يكونوا شافعية.<sup>67</sup>

### ويستنتج "مقدسي" من خلال دراسته للمدرسة النظامية:

أولاً: أن المدرسة النظامية لم تكن تُدرّس علم الكلام سواء الأشعري أو المعتزلي، وبالتالي حديث الباحثين في الإسلاميات عن انتصار الأشعرية من خلال بناء المدرسة النظامية لم يكن صحيحاً. ثانياً: لم تؤسس المدرسة ردّاً على الدعاية الفاطمية الإسماعيلية<sup>68</sup> وتأسيسها لجامع الأزهر، ويرى أن هذا الاستنتاج جاء لأن النظاميات أسسها الوزير السلجوقي "نظام الملك" فإذن لا بد وأن تكون مهمتها رسمية، في حين أن الوزير أسسها بصفته الشخصية لا بصفته الرسمية إذ كان لأي مسلم أن يؤسس مدرسة دينية إن كان يمتلك الموارد اللازمة.<sup>69</sup>



وبناءً على ذلك يُخطئ "مقدسي" "جولدتسيهر" الذي عدّ الأشعرية مدرسة رسمية لأنها كانت تُدرّس في المدرسة النظامية والتي أنشأها وزير الدولة نظام الملك، وفي الحقيقة أن المدرسة لم تكن تُعنى بتدريس الكلام، ولم ينشئها الوزير بصفته الرسمية.<sup>70</sup>

ثالثاً: تستند حجة "مقدسي" إلى تأريخ "ابن الجوزي" لافتتاح المدرسة الحنفية والتي أسسها شرف الملك - كان وزير مالية السلطان السلجوقي - لإيواء الطلبة وتدرّس الفقه الحنفي. كما أن "شرف الملك" لما رأى مساعدي الوزير "نظام الملك" بدأوا ببناء المدرسة النظامية ارتأى إمكانية القيام بالشيء نفسه.<sup>71</sup>

والمعنى الضمني غير المنطوق هو أن الوزيرين السلجوقيين أنشأ في تلك الفترة المدرستين على حسابهما الخاص ولصالح مذهبهما الفقهي المخصوص.<sup>72</sup>

رابعاً: ينتقد الرأي القائل بأن تعيين "نظام الملك" "للغزالي" كان للرد على الفاطميين ومحاربة هرطقتهم، في حين أنّ "الغزالي" لم يُعيّن لتدريس الكلام إنّما مدرّساً للفقه الشافعيّ مثله مثل المدرسين الستة الذين سبقوه إلى هذا الكرسي.<sup>73</sup>

خامساً: يُدلل أنّ المدرسة لم تنشأ لنصرة الأشاعرة وذلك في كون "أبو إسحاق الشيرازي"<sup>74</sup> وهو أول مدرس عيّنه نظام الملك لتدريس الفقه الشافعي وبقي يُدرّس في المدرسة طوال سبع عشرة سنة كانت له مشاعر معادية للأشعرية وكان ذلك معروفاً عند أهل زمانه.

ويُحيل "مقدسي" قارئه إلى كتاب "الشيرازي" الذي أورد هذه المشاعر في "اللمعة في أصول الفقه".<sup>75</sup>

سادساً: لا يمكن أن تكون المدرسة النظامية مركزاً للدعاية ضد الفاطميين لوحدها؛ فلقد كان هنالك العديد من المدارس والمؤسسات التعليمية المشابهة لها تنشر العلوم الدينية قبل وبعد تأسيس المدرسة.<sup>76</sup>

ويخلص "مقدسي" نهاية إلى أنّ المدارس لم تكن تدرّس العلوم العقلية بل العلوم الأثرية وبالتالي فإن ازدهار المدارس في القرن الخامس الهجري هو ازدهار للسلفية الأثرية على خصومها في الحقول المؤسساتية الأخرى خصوصاً حقل التعليم.<sup>77</sup>

ويرى أن إنشاء "دار الحديث" ومن بعدها "دار القرآن" يرمز إلى انتصار أهل الحديث على أهل الكلام، فحلت المدرستان بديلاً لدار الحكمة ودار العلم. حتى إن المكتبات التي كانت تعدّ مؤسسة مستقلة تتعاطى كل العلوم باتت مكتبات مُلحقة تحمل طابعاً نقلياً أثرياً.<sup>78</sup>

وبذلك يؤكد "مقدسي" على ما تحدث به "جولدتسيهر" من قبل في أن المدرسة الحنبلية استطاعت التأثير بمجرى الأحداث في تطور التاريخ الديني الإسلامي وذلك حين أدراك الطابع الشديد الخصوصية لهذا المذهب على الرغم من قلة أتباعه. غير أن "مقدسي" يقول إن "جولدتسيهر" أخطأ لما عزا هذه الخصوصية إلى قساوة العقيدة الجامة وانتقادهم لكل ارتخاء في الحياة اليومية في حين كانت المذاهب -على حد قوله- أكثر لا مبالاة حيال الفروقات العقدية.<sup>79</sup>

إنّ هذه الفكرة الخاطئة التي تبناها "جولدتسيهر" تعود للمصادر المتكتمة حيال بقية المذاهب وكان ينبغي له بحسب "مقدسي" أن يدرسها بشكل أدق والتأكد منها عبر مقارنتها بمصادر نقلية أثرية أخرى.<sup>80</sup>

وبنّيه "مقدسي" إلى الأخطاء الشائعة عند دراسة الحنبلية مثل عدم التفريق بين الحركات العقائدية الكلامية والمذاهب الفقهية؛ فالحنبلية في مجالها الفقهي لم تحظَ باهتمام كبير إلا أن لها موقع متميز وسط الحركة الأثرية النقلية في مجالها العقائدي والكلامي.<sup>81</sup>

وبالتالي فإن الحنبلية واصلت صراعها ضد الكلام من داخل المذاهب الفقهية الأخرى، فقد اصطفّ كل النقلين الأثرين التقليديين من كل المذاهب -بما فيهم المذهب الحنبلي- تحت راية أهل الحديث وهي إحدى تسميات الحركة السلفية النقلية.<sup>82</sup>

إن ظهور مصطلح الأشعرية كما لو أنه مرادف للشافعية وكون الحنابلة قليلي العدد ويحملون خصومة للأشاعرة كانا سببان للدعاء بأن الحنبلية تقع على هامش التاريخ، في حين كانت في الحقيقة طليعة حركة أهل الحديث المنتمين إلى مذاهب فقهية عديدة، ويشبه مقدسي هذا الحال بالذي يرى رأس جبل الجليد في حين أنه غافل عن الجزء المغطى وهو الذي يمثل الأغلبية.<sup>83</sup>

إن "مقدسي" ينفي سيادة العقيدة الأشعرية في القرون الوسطى ويؤكد أنها لو سادت لما لجأ كل من "السبكي" و"ابن عساكر" بالتوجه بالخطاب إلى أهل الحديث الشوافع واستمالتهم

والدعاية لمذهبهما العقائدي، ويرى مقدسي أن هذا دليل على أن الأشاعرة كانوا يناضلون لنزع الاعتراف بمذهبهم.<sup>84</sup>

وفي الحقيقة إن هذه الأدبيات الأشعرية التي انتشرت في ذلك الوقت كانت استجابة للدولة السلجوقية بعد أن سخط عليهم السلطان السلجوقي الأول "طغرل بك" (385-455هـ)، لكن بعد ذلك ناصرت الدولة السلجوقية أهل الحديث وحاولت التوفيق بين المنازع المختلفة خاصة تلك التي كانت بين الأشاعرة والحنبلية.

وقد بيّن "ابن تيمية" ذلك فذكر أنّ "نظام الملك" قام بنصرة أهل السنة للرد على الباطنيين، يقول: وكانت الرافضة والقرامطة - علماؤها وأمرؤها - قد استظهرت في أوائل الدولة السلجوقية، حتى غلبت على الشام والعراق، وأخرجت الخليفة القائم ببغداد إلى تكريت... فجاءت بعد ذلك السلجوقية حتى هزموهم وفتحوا الشام والعراق، وقهروهم بخراسان وحجروهم بمصر، وكان في وقتهم من الوزراء مثل "نظام الملك"، ومن العلماء مثل "أبي المعالي الجويني"، فصاروا بما يقيمونه من السنة ويردونه من بدعة هؤلاء ونحوهم لهم من المكانة عند الأمة.<sup>85</sup>

ومن النتائج الخاطئة التي وقع فيها "مقدسي" قوله بأن "الشيرازي" كان عدواً للمتكلمين وهذا خطأ كبير لمطالع على التاريخ مثله فـ"الشيرازي" كان أشعرياً وناصر عقائدهم بل إنه ألف كتاب "الإشارة إلى مذهب أهل الحق" ويتضح من خلاله تمسكه بالمذهب الأشعري ودفاعه عنه، بل وقعت في عهده حادثة شكت عليه الحنابلة وأرسل هو بدوره "نظام الملك" يشكو عنف الحنابلة ويذكر سيئهم له.<sup>86</sup>

بل إن نسبة "الشيرازي" إلى الحنابلة كان مما أشاعه الحنابلة وتبرأ أبو إسحاق منها، وقد ذكر "السبكي" هذه الحادثة: أخذ الحنابلة يشيعون أن الشيخ أبا إسحاق تبرأ من مذهب الأشعريّ فعُضِبَ الشيخ لذلك غضباً لم يصل أحد إلى تسكينه.<sup>87</sup>

إن هذه القصة التي حاول "مقدسي" إيهام القارئ بها وهي في كون "الشيرازي" قد تبرأ من الأشعرية تثبت خلاف كلامه؛ وقد وثق "ابن رجب" حادثة الفتنة التي جرت بين الأشعرية والحنبلية حين استدعى "نظام الملك" الأطراف المتخاصمة.

" فاستدعى الشريف أبا جعفر بجماعة من الرؤساء منهم ابن جرّدة، فتلطفوا به حتى حضر في الليل، وحضر أبو إسحاق، وأبو سعد الصوفي، وأبو نصر بن القشيري. فلما حضر الشريف عظمه الوزير ورفعاه، وقال: إن أمير المؤمنين ساءه ما جرى من اختلاف المسلمين في عقائدهم، وهؤلاء يصالحونك على ما تريد، وأمرهم بالدنو من الشريف. فقام إليه أبو إسحاق، وكان يتردد في أيام المناظرة إلى مسجده بدرب المطبخ، فقال: أنا ذاك الذي تعرف، وهذه كتب في أصول الفقه، أقول فيها: خلافاً للأشعرية، ثم قبل رأسه. فقال له الشريف: قد كان ما تقول، إلا أنك لما كنت فقيراً لم تظهر لنا ما في نفسك، فلما جاء الأعوان والسلطان وخوفاً بزرّك - يعني النظام - أبديت ما كان مخفياً." <sup>88</sup>

يبدو جلياً من النصّ السابق أن "الشيرازي" حاول التلطف للشريف فذكر أنه يخالف الأشعرية في كتبه، ذلك لا يعني تبرأه من المذهب بقدر ما أنه جاء بنتائج تخالف الأشعرية، ولا يعني مخالفة المدرسة في مسائل وقضايا التبرأ منها! بل إن "الشريف" أخرج ما في نفس "الشيرازي" لما ذكر بأنه يخفي ما لا يظهر.

أما عن انتقاد "مقدسي" للفكرة المتداولة بين المستشرقين في عدّ العقيدة الأشعرية هي العقيدة الرسمية للدولة السلجوقية ورفضه القاطع لها فإننا لا نوافقه تماماً حول هذا الاستنتاج والكلام في ذلك يحتاج إلى تفصيل.

لنرجع ثانية إلى أدلة "مقدسي" وهي أن المدرسة النظامية لم تكن تدرّس علم الكلام أصلاً؛ وعند رجوعي للمصادر التاريخية فإن هذه النتيجة صحيحة فعلم الكلام لم يكن يدرس بشكل رسمي في المدرسة، وكانت الشافعية كما تنبه خالد علال لا تتمتع بانسجام فكري بين اتجاهاتها الفكرية الداخلية وذلك لاختلاف مواقفها من مسائل أصول الدين التي فجرت أزمة عقيدية عصفت بالمذهب السني خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، مما أدى إلى انقسامها على نفسها إلى أربع طوائف؛ الشافعية الأشعرية، والشافعية السلفية، والشافعية المعتزلة، والشافعية المشبهة. <sup>89</sup>

إن هذه التيارات داخل المدرسة الشافعية تنازعت في شرعيتها داخل المذهب، يمكن الرجوع إلى ما ذكره "ابن الجوزي" لتوضيح ذلك: " وكان أبو الفتوح الأسفراييني يجلس في رباطه ويتكلم على مذهب الأشعري، فتجري الخصومات، فمضى أبو الحسن الغزنوي الواعظ إلى السلطان

فأخبره بالفتن، وقال له: إن أبا الفتوح صاحب فتنة وقد رجم ببغداد مرارًا والصواب إخراجهم من البلد فتقدم السلطان بإخراجه...<sup>90</sup>

وأيضًا مما يدل على أن النظامية لا يوجد فيها كرسي للمتكلمين ولم تتخذ الأشعرية كعقيدة رسمية ما ذكره "ابن الجوزي" أنه قد كُتِبَ على المدرسة النظامية اسم الأشعري وعندما قدم السلطان لحضور درسٍ محاذ ذلك وكتب مكانه الشافعي.<sup>91</sup>

كما يُمكن الاستشهاد بفتنة "القشيري" كما ذكرها "ابن الأثير" في كتابه "الكامل" وهذا نصّ كلامه: " فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَرَدَ بَعْدَازْ أَبُو نَصْرِ ابْنُ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيِّ حَاجًّا وَجَلَسَ فِي الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ يَعْظُ النَّاسَ، وَفِي رِبَاطِ شَيْخِ الشُّيُوخِ وَجَرَى لَهُ مَعَ الْحَنَابِلَةِ فِتْنٌ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَى مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ، وَنَصَرَهُ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ وَالْمُتَعَصِّبُونَ لَهُ، وَقَصَدَ خُصُومُهُ مِنَ الْحَنَابِلَةِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ، سَوَّقَ الْمَدْرَسَةَ النَّظَامِيَّةَ وَقَتَلُوا جَمَاعَةً." <sup>92</sup>

إن هذا النصّ يعضد ما قاله "مقدسي" فالحديث في علم الكلام كان طارئًا وليس أصلًا في المدرسة، ولم يُعنى "نظام الملك" في أن توظف المدرسة الأشعرية كأيدولوجيا للردّ على الباطنية بل شأنها جمع مظلة أهل الحديث ومحاولة إزالة الخلافات العقائدية بين الحنابلة والأشعرية الشوافع وأن تقف بعد ذلك المدرسة من خلال تدريس علوم أهل السنة كالبناء المتين أمام الأفكار التخريبية والهادمة التي حملتها الباطنية. ثم إن ابن الأثير كان دقيقًا فقال إنّ أبي القاسم القشيري ورد بغداد "يعظ الناس" أي أن الغاية المفترضة له بالقدوم هو الوعظ لا تدريس علم الكلام.

وللتأكيد كذلك على أن المدرسة لم تُنشأ لتدريس علم الكلام بل لجمع كلمة أهل الحديث نرجع مرة أخرى إلى كتاب المنتظم حيث يؤرّخ "ابن الجوزي" جوابًا "لنظام الملك" يرد فيه على الشيرازي حين أرسل له بعض رسائل في معنى الحنابلة، وكان جواب نظام الملك عليه: "ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب، وليس توجب سياسة السلطان وقضية المعدلة إلى أن نغيل في المذاهب إلى جهة دون جهة، ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة إلا لصيانة أهل العلم أو المصلحة، لا للاختلاف وتفريق الكلمة، ومتى جرت الأمور على خلاف ما أردناه من هذه الأسباب فليس إلا التقدم بسد الباب، وليس في المكنة..." <sup>93</sup>

غير أننا نقع في جولة استفهام عند فكّ الارتباط بين المدرسة النظامية والكلام فهل كان من باب المصادفة أنّ أهم المناصب في المدرسة النظامية قد قُلدت لأعلام الأشاعرة؛ كـ "الشيرازي"، و"أبو المعالي الجويني"<sup>94</sup> الذي كتب كتابه "العقيدة النظامية" للوزير، و"الغزالي" الذي أخرج عمدة الكتب في الردّ على الباطنية أي كتابه "فضائح الباطنية" والذي جاء استجابة لدعوة السلطان السلجوقي أحمد المستنصر بالله؟

يقول "الغزالي": "حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالإشارة إلى الخادم في تصنيف كتاب في الردّ على الباطنية مشتمل على الكشف عن بدعهم وضلالاتهم..."<sup>95</sup>

عند التدقيق في هذا الإشكال المطروح والسؤال الوجيه أعتقد بأن الإجابة تكمن في عبارة ابن عساكر التالية ذكرها: "ولم تزل الحنابلة يبعّداً في قديم الدهر على ممر الأوقات تعتضد بالأشعرية على أصحاب البدع لأنهم المتكلمون من أهل الإثبات فمن تكلم منهم في الردّ على مُتَدَعِ فلبس الأَشْعَرِيَّةَ يَتَكَلَّمُ وَمَنْ حَقَّقَ مِنْهُمْ فِي الْأَصُولِ فِي مَسْأَلَةِ فَمَنْهُمْ يَتَعَلَّمُ فَلَمْ يَزَلُوا كَذَلِكَ حَتَّى حَدَثَ الْإِخْتِلَافُ فِي زَمَنِ أَبِي نَصْرِ الْقَشِيرِيِّ"<sup>96</sup>

ونرى كلاماً يوافق "ابن عساكر" في "مجموع الفتاوى" لابن تيمية" حيث يقول: "والقشيري تَلْمِيزُ ابْنِ فُورَكٍ؛ فَلِهَذَا تَغْلَظُ مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ مِنْ حِينِذٍ وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَنْبَلِيَّةِ تَنَافُرٌ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُتَوَالِفِينَ أَوْ مُتَسَالِمِينَ... وَالْأَشْعَرِيَّةُ " فِيمَا يُثْبِتُونَهُ مِنَ السُّنَنِ فَرَّغَ عَلَى الْحَنْبَلِيَّةِ كَمَا أَنَّ مُتَكَلِّمَةَ الْحَنْبَلِيَّةِ - فِيمَا يَحْتَجُّونَ بِهِ مِنَ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ - فَرَّغَ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنَّمَا وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ بِسَبَبِ فِتْنَةِ الْقَشِيرِيِّ."<sup>97</sup>

إذاً إنَّ الخلط الذي وقع فيه المستشرقون كان في تدقيق هذه المسألة؛ لم يكن الحنابلة على هامش التاريخ ولم تكن الأشعرية هي الأيديولوجيا الرسمية للدولة، إن السلاجقة ناصرُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ الَّذِينَ كَانُوا فِي نِزَاعٍ دَاخِلِيٍّ حَوْلَ شَرْعِيَّةِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَكَانَتِ الْأَشْعَرِيَّةُ تَحْتَ مِظَلِّ أَهْلِ الْحَدِيثِ هِيَ الَّتِي تَصَدَّتْ لِلرَّدِّ عَلَى الْبَاطِنِيَّةِ مِنْ خِلَالِ اسْتِخْدَامِ الْمَنْهَجِ الْعَقْلِيِّ وَالْأَقْيَسَةِ الْكَلَامِيَّةِ وَالَّتِي كَانَتْ أَهْلُ الْأَثَرِ دَاخِلَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي نَفَرَةٍ مِنْهَا اقْتِدَاءً بِ"أحمد بن حنبل".

إذ إن "ابن حنبل" كما يصف المستشرق "نيمرود هوريتز" من خلال تحليله لحدث المحنة وحوار ابن حنبل مع المعتزلة بأن طريقة أهل السنة في المسائل الدينية قائمة على ترك الجدل والمراء والخصومات، فترى أنه أدان الجدل وبذلك فقد هاجم ممارسات المتكلمين.<sup>98</sup>

إذاً لقد كان أهل الحديث/ أهل السنة هم الذين ناصرهم الدولة السلجوقية في مرحلتها الثانية وكانت هذه الجماعة تعيش نزاعاً لا تزاله حتى اليوم وهو استخدام الأقيسة العقلية والمنطقية في العقيدة فكان أهل الأثر ومنهم الحنبليّة يرفضون ذلك اقتداءً بابن حنبل في حين كان "العقليّون" من الأشعرية - وخاصة بعد أن أعلى الغزالي من قيمة علم المنطق - يرفضون هذا المنهج إذ لا بدّ من استخدام المنهج العقلي في الردّ على الفرق الأخرى.

ولم تكتفِ الأطراف داخل مدرسة أهل الأثر بالنزاعات الداخلية وبالمسألة الرئيسة وهي دور العقل والنقل والعلاقة بينهما، إذ كانت تُعدّ النزاعات لأسباب سياسية واجتماعية ليس هنا مكان شرحها؛ كفتنة ابن القشيري التي اغتنمها الخليفة العباسي لتقوية شوكة الحنابلة والخوف من معبّة أعمال العوام وإعمالاً لإحداث قلقله في المدينة. بالتأكيد لا نعزوا أحداث الاضطرابات التي جرت بين المنهجين الأثري والعقلي داخل مدرسة أهل الحديث لعوامل داخلية فقط وتبسيط المشكلة لكن ما يُهمّنا توضيحه هو تتبع صحة دعوى مقدسي بكون الأشعرية لم تكن عقيدة الدولة الرسمية.

إننا نحاية لا نشارك "مقدسي" في استنتاجه بأن الأشعرية لم تجد ازدهاراً واسعاً في العهد السلجوقي أو أنها لم تحقق انتصاراً - وهذا يرجع لمفهوم الانتصار عنده - كما لا نوافقه حين رأى أن محاولة المتكلمين الأشاعرة في كسب شرعيتهم كانت من خلال اندساسهم في الحقل الفقهي وخاصة المذهب الشافعي!<sup>99</sup> يبدو واضحاً من كلام مقدسي أنه متحامل على الأشعرية وإمامهم بحدّ ذاته الذي تابع المستشرقين في وصفه "منفصلاً"

"ذو وجهين" "ذو شخصية مزدوجة"<sup>100</sup> وحاول إثبات ما أمكنه بأن الأشعرية لم تحقق انتصاراً ولم يكن مؤرخو الأشعرية أصحاب منهج موضوعي بل إن جلّ ما كان يسعى له الأشاعرة هو كسب الشرعية داخل مدرسة أهل الحديث.

وكذا حديث مقدسي عن اندساس الأشاعرة في الفقه الشافعي فهو كلام خاطئ، ولقد بين كريستوفر ميلشيرت في ورقته البحثية "خصوم أحمد" عن صعود تيار شبه عقلاني داخل المذهب الشافعي قبل ظهور الأشاعرة والذي لم يكن يرضي ابن حنبل. هذا التيار شبه العقلاني هو الذي استمدت منه الأشاعرة أدواتها فيما بعد. فلم يكن ابن حنبل راضياً عن الذين قالوا بأن القرآن غير مخلوق ولفظه مخلوق، كما عاب على المحاسبي خوضه في مسائل كلامية واستعماله المنطق الجدلي اللاهوتي.<sup>101</sup>

إن هذا التيار شبه العقلاني الذي وصفه ميلشيرت بكونه - ليس حديثاً خالصاً أو عقلانياً خالصاً - كان موجوداً في المذاهب الفقهية، لذلك لم يحتاج الأشاعرة إلى مذهب فقهي ما حتى يضيفوا إلى مدرستهم الشرعية.

أما عن حديث مقدسي بأن الأشعرية لا تمت لمؤسسها بصلة وتختلف آراء الأتباع عن رأي المؤسس، فهذا لا يعيب مدرسة ما فالتطور حاصل للمدارس كما أن المدرسة الأشعرية مدرسة تركيبية، وقد اشار ابن تيمية إلى ذلك: "إن الأشعري شرب كلام الجبائي شيخ المعتزلة ونسبته في الكلام إليه متفق عليها عند أصحابه وغيرهم؛ وابن الباقلاني أكثر إثباتاً بعد الأشعري في "الإبانة وبعد ابن الباقلاني ابن فورك فإنه أثبت بعض ما في القرآن. و" أما الجويني " ومن سلك طريقته: فمالوا إلى مذهب المعتزلة؛ فإن أبا المعالي كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم قليل المعرفة بالآثار فأثر فيه مجموع الأمرين. والقشيري تلميذ ابن فورك."<sup>102</sup>

كل هذه الادعاءات التي جاء بها "مقدسي" ليستنتج نهاية إن الحنبلية لم تكن على هامش التاريخ، ونحن إن وافقناه في هذه الملاحظة الهامة وفي كون الحنبلية بقي لها أثرها الكبير وخاصة الاجتماعي في الأمصار الإسلامية رغم محدودية أتباعها وهذا ما حاول إثباته قبله أستاذه "هنري لاووست" ولاحقاً المستشرق "مايكل كوك" و"نيمرود هوريتز" إلا أننا لا نوافقه بأن الأشعرية لم تحقق انتصاراً في العهد السلجوقي وهذا الانتصار لا على أهل الأثر بل على أهل البدع والمقالات من الباطنية والمعتزلة والفلاسفة وشهد على ذلك أدبياتهم التي كتبوها بل أيضاً علماء من المدرسة الحنبلية وأبرزهم ابن تيمية الذي أشاد بدورهم في ذلك العهد، كما استطاعوا وضع القواعد في علاقة كل من العقل والنقل وكانت جهود الغزالي واضحة في ذلك.



إذاً لقد أخفق "مقدسي" رسم استدلاله لما بيّن أن عدم وجود كرسيّ لعلم الكلام في المدرسة النظامية يعني أن العقيدة الأشعرية لم تحقق انتصاراً بشكل ما، فصحيح أنني وافقت مقدسي في المقدمة الأولى وقدمت براهين تاريخية عليها غير أنني لا أوافقه في استنتاجاته الأخرى التي لم تكن موضوعية وفيها تحامل وتعصب شديدين.

ومن الجدير ذكره في هذا السياق أن استنتاجات "مقدسي" الجديدة حول الحنبلية كان لها أثرها الواضح بين المستشرقين والمتخصصين في الدراسات الحنبلية وذلك إما اعتراضاً، أو نقداً، أو تطويراً، حيث تابعته "ليفنات هولتزمان" في ورقة بحثية "فتنة ابن عقيل وفتنة ابن القشيري" في القول بأن المدرسة الحنبلية كانت شديدة التأثير في الأحوال الاجتماعية والدينية خاصة في بغداد. وكذلك على أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة نوتنغهام "جون هوفر" والذي طوّر على أفكار مقدسي وذلك عند حديثه عن "كلام حنبلي" حيث يُقدّم تغييراً على فكرة مقدسي بأن الحنبلية كانوا يمثلون ذروة سنام الحركة الأثرية وذلك في مواجهة للعقلانية الكلامية الأشعرية والمعتزلية حيث يذكر هوفر أنه كان ثمة أئمة من المدرسة الحنبلية ينجحون إلى الاتجاه العقلي، ومع ذلك فقد ذكر هوفر فضل مقدسي على الدراسات الحنبلية ومن قبله أستاذه لاووست.<sup>103</sup>

## 2- علاقة الحنبليّة بالتصوف

في حديث "مقدسي" عن أصالة التصوف يدعم النظرية القائلة بالنشأة الدّائية للتصوف الإسلامي، وإن كان هنالك اختلاف في الآراء عن هذه الأصالة فإن الإجماع يصبّ في صالح القول بإسلامية التصوّف.<sup>104</sup>

فنجد الجيل الأول من المستشرقين الذين ظهروا في القرن الثامن عشر الميلادي حتى القرن العشرين ذهبوا إلى أن التصوف الإسلامي قد نشأ من مصادر أجنبية، فعزاه بعضهم للأديان الهندو - آرية، أي ذات الأصل الهندي - الفارسي.<sup>105</sup>

وعزاه بعضهم ك"جولدتسيهر" وغيره من المستشرقين إلى الأصل المسيحي نظراً لفكرة الحب الإلهي التي ظهرت مبكراً عند بعض الصوفية وأفكار مسيحية مشابهة. ومن تلك الأفكار الفقر وحث الأناجيل عليه، والتمنع عن الزواج والرياضة والخلوّة، كذلك تعللوا في الصلوات التي كانت ما بين العرب والنصارى في الجاهلية والإسلام.<sup>106</sup>

لا يُعطي "مقدسي" لهذه القضية الكثير من الاهتمام فهو يقول بأصالة التصوف غير أن القضية الإشكالية التي يراها تغدو في إصرار الباحثين على فكرة خصومة الحنبلية والتصوف.

فيرى أن هنالك أخطاء شائعة في دراسة الجماعات والفرق الإسلامية باعتبار كل جماعة كتلة متجانسة صماء مما يجعل الباحث يغض النظر عن الانتقادات والردود المتبادلة بين علماء المذهب الواحد والفرقة الواحدة فيختزل العلماء الكبار في مقام واحد وينتهك فردانيتهم في التفكير فتنتج عن ذلك التعميم والتوصيفات السهلة وصار يُكتفى بوصف عالم من العلماء بناءً على انتمائه إلى هذه الحركة أو تلك كما لو كان عصياً عن التأثير بمؤثرات أخرى.<sup>107</sup>

هنالك أمثلة عديدة يجتريها للبرهنة على ذلك؛ فيأتي بدراسة لـ "جولدسيهر" الذي أكد على أن عقائد المعتزلة التي كان يحاربها فخر الدين الرازي أثرت كثيراً في فكره وتغلغت قليلاً في عقيدته نفسها، ومثال آخر هو ابن عقيل الذي تأثر في عمر الخامسة والعشرين حتى الخامسة والثلاثين تقريباً بعقائد المعتزلة التي كان يدرسها على أستاذين في الكلام المعتزلي.<sup>108</sup>

إن هذه المقدمة التي تعمدوها مقدسي تشير إلى أن فكرة خصومة الحنبلية للتصوف يُعزا كثيها إلى جعلنا كل مذهب أو مدرسة كتلة صماء لا يوجد خلافات أو آراء متعددة لدى أتباعها، ويضرب على ذلك أمثلة منها:<sup>109</sup>

- 1- إن "الغزالي" جعل من الصوفية تقليدية سنّية فصالح بين التصوف والتقليدية السنية الإسلامية.
- 2- يوجد بين الفقه والتصوف عدااء مستحكم بحيث إن فقيهاً لا يمكنه أن يكون صوفيّاً.
- 3- الحنبلية ألدّ أعداء التصوف.

### ويتساءل مقدسي مشيراً إلى الفكرة الأولى:

- كيف جرى التوصل إلى أن الغزالي حقّق مصالحة "مزعومة" بين الصوفية والتقليدية السنية؟

- وماذا نسمي الصوفيين الذين سبقوا "الغزالي" بخمسة قرون مثل: "الجنيد" (215-298هـ)<sup>110</sup>، و"أبو طالب المكي" (ت: 386هـ)<sup>111</sup>، و"أبو عبد الرحمن السلمي" (325-412هـ)<sup>112</sup>، و"القشيري" (376-465هـ)<sup>113</sup>؟

ويتابع "مقدسي" بعد تساؤلاته النتائج التي توصل إليها "جولدتسيهر" في أن ما قبل "الغزالي" لم يكن هنالك وفاق بين الفقه والتصوف وهو الذي قام بتحليص التصوف من موقعه المعزول في التفكير الديني وجعله عنصرًا عاديًا في الحياة الدينيّة للمؤمنين. وتبنّى هذا النظرة دارسون آخرون للإسلاميات مثل "كارل بيكر" (1876-1933م)<sup>114</sup> الذي رأى أن التصوف سدّ الفجوة التي خلفها الفقه والكلام، وكان التصوف رد فعل على هذين الحقلين من حقول الدين.<sup>115</sup> ويشير "مقدسي" إلى دراستين حديثتين تعارض هذه النظرة "البداية" في التفكير كما سماها، وهي:

- 1- دراسة "فولرز" (1803-1880م)<sup>116</sup> ففي مقالة له نشرها في موسوعة الدين والأخلاق اندهش فولرز من كون "الشعراني" (898-973هـ) فقيه وصوفيّ ومتكلم، كانت هذه الدهشة لأنه لم يكن يتوقع التوافق بين التصوف والعلوم الأخرى ويتجسدها عالم واحد.<sup>117</sup>
- 2- كتاب لـ "ماريجان موليه" الذي يؤكد فيه أنه لم يكن هنالك ما يلزم لتحقيق تصالح بين الصوفية والسنية التقليدية، وذكر الجنيد مثلاً.<sup>118</sup>

ويُضيف "مقدسي" أنه قد سبق لكتاب السير والتراجم ذكر العديد من العلماء الذين كانوا فقهاء وصوفية في الآن نفسه وهم سابقون عن الغزالي، فهذا السبكي يُعدّ منهم "أبو خلف الطبري" (ت: 310هـ)<sup>119</sup> الذي يقول عنه أنه "كان فقيهاً صوفيّاً" ومنهم "أبو نعيم الأصبهاني الصوفي" (336هـ - 430هـ)<sup>120</sup> ويترجم له "السبكي" قائلاً: "يجمع إلى معرفته بالفقه معرفة بالتصوف".<sup>121</sup>

وعلى الرغم من إشادة "مقدسي" لدراسة "موليه" غير أنه يُنبه إلى أن الحنبلية التي ولدت مثل التصوف في مناخ عميق الإشباع بالقرآن لم تتطور في اتجاه مماثل، وكانت تطلعات الحنبلية العميقة بحسب "موليه" ذاهبة باتجاه معارضٍ للتصوف.<sup>122</sup>

إن "مقدسي" يرفض فكرة عداة الحنبلية للتصوف ويقول بأن الوثائق تكشف عن علاقة وثيقة بين الطرفين. ويقدم مقدسي أدلة على ما يتبناه وهي:

- 1- ذكر أسماء من المتصوفة الذين كانوا حنابلة، مثل: "عبد القادر الجيلاني" وغيره فلو كان ثمة عداة بين الطرفين لما استطاعوا أن يجمعوا بين أن يكونوا حنابلة ومتصوفة في الوقت نفسه.<sup>123</sup>

2- الطريقة الجيلانية كان قد أسسها "عبد القادر الجيلاني" وهو حنبلي وهنالك من يرى بأن هذه الطريقة كانت حنبلية.<sup>124</sup>

3- قام "ابن القيم الجوزية" بشرح الكتاب الصوفي "منازل السائرين" "للأنصاري الهروي" وبالتالي فأفكاره الصوفية نابعة من تأثير مدرسته الحنبلية في حين يُصرّ البعض في أن "ابن القيم" متأثر بأفكاره الصوفية بـ "الغزالي".<sup>125</sup> كما قام "ابن القيم" بتلخيص كتابين يُعدّان من أعمدة التصوّف وهما: حلية الأولياء لـ "أبي نعيم الأصفهاني" وإحياء علوم الدين لـ "الغزالي".<sup>126</sup>

ويردّ "مقدسي" على من يرى بأن "ابن الجوزي" معادٍ للتصوف في كتابه "تلبيس إبليس" فيرى أن هذا الكتاب لا يتكلم عن التصوف ولا عن المتصوفة بقدر ما أراد ابن الجوزي ذمّ شطحات مجموعات عدة سواء الفلاسفة، والمتكلمين، والوعاظ، وفقهاء اللغة، والشعراء، فذم شطحات من المتصوفة كذلك.<sup>127</sup>

4- كان "ابن تيمية" يميل نحو التصوف ويأخذ مقدسي بهذا برأي أستاذه "لاووست" الذي يذهب بأن "ابن تيمية" أدان التصوف المتطرف الداعي للاتحاد والحلول غير أنه لم يُخف إعجابه بمؤلفات متصوفة مثل "الجنيد" وأبو "طالب المكي" و"القشيري" و"الجيلاني" وغيرهم.<sup>128</sup>

5- بالرجوع إلى كتب السير والتراجم ككتاب الطبقات "لابن رجب" نقف على مصطلحات مثل كلمة "زاهد" التي تحمل معنى النسك والتقشف ويستخدم هذا المصطلح بمعنى "صوفي" ويشير مقدسي بأنه أجرى دراسة على كتاب ابن رجب فوجد أكثر من مئة صوفي ما يُشكل سدس عدد الحنابلة.<sup>129</sup>

6- إن "ابن قدامة" (541-620هـ)<sup>130</sup> كان يحمل مودة قوية للتصوف؛ ففي كتابه "التوايين" يذكر أحياناً "للحلاج" (244 - 309هـ)؛<sup>131</sup> دون أن ينسبها إليه! كما أن "مقدسي" وجد مخطوطة في المكتبة الظاهرية في دمشق تفيد بأن ابن حجر العسقلاني (773-852هـ)<sup>132</sup> ذكر سلسلة نسب صوفية لـ "الدنيسري" (719-802هـ)<sup>133</sup> قال فيها هذا الأخير أنه يرجع بحرقته إلى "ابن قدامة" بواسطة شيخين اثنين صوفيين حنبلين.<sup>134</sup>

إن "مقدسي" يعترف بأن "ابن تيمية" انتقد التصوّف لكنه عارض التصوف الحلولي الذي قال به الاتحادية ولكنه في الوقت نفسه أعجب بأعمال طائفة من الصوفية أمثال "الجنيد"

و"الجيلاني" وغيرهم.<sup>135</sup> في المقابل يرى أن "الغزالي" كذلك انتقد شطحاتهم لكنه يُحسب على الصوفية واستحق مديح المتخصصين في حين أن ابن تيمية قد تعرض إلى خلاف ذلك من ردود الفعل ويرى بأن ذلك غير عادل ويدعو المتخصصين إلى إعادة النظر في هذه المسائل التي باتت حتميات وأفكاراً جاهزة لا تتعمق في التفاصيل والجزئيات.

وما يؤكده مقدسي بأن التصوف لم ينتظر الغزالي ليحدث التوافق والانسجام بين التصوف والفقه بل كان قبله علماء فقهاء وصوفية بل فقهاء وحنابلة وعُدّ التصوف تركيبة منسجة ضمن الفكر الإسلامي.

وعند الوقوف على الحجج التي قدمها مقدسي وأولها في أن التصوف لم ينتظر الغزالي ليحدث التوافق والانسجام بين التصوف والفقه بل كان قبله علماء فقهاء وصوفية بل فقهاء وحنابلة وعُدّ التصوف تركيبة منسجمة ضمن الفكر الإسلامي فهذا صحيح من جانب أن هنالك فقهاء وصوفية قبل الغزالي ونذكر المحاسبي مثلاً والذي اعترف الغزالي بفضله ونجد تأثيره الكبير به، لكن عند النظر إلى المؤلفات الفقهية والرهديّة قبل الغزالي سنجد أننا نستطيع التمييز فيما بينها أي أن نقول هذا كتاب في الفقه وهذا في التصوف غير أن ما يميّز مؤلفات الغزالي هو في كونها خليط بين علوم متعددة وكان على يده بلورة العلاقة بين العلوم الشرعية وخاصة الفقه والتصوف.

عند قراءة كتاب "إحياء علوم الدين" مثلاً فإننا لن نستطيع التمييز بين الدين وبين التصوف فيه، وهذا ما يعني أن الغزالي جعل من الحقيقة الدينية حقيقة تصوفية، وقد أثرى علوم الشرع المختلفة كأصول الدين وتصوره عن التوحيد، فليس التوحيد عنده إسقاط كثرة الآلهة كما يرى العامة ولا هو تنزيه الله عن التشبيه والتجسيم كما هو عند المعتزلة وإنما أن يرى الموحد الأمور كلها من الله رؤية تقطع إلتفاتة إلى الوسائط، فهو لا يرى فاعل على الحقيقة إلا الله، وهكذا جعل الغزالي من مفهوم التوحيد سلب العلية الفاعلة من الأشياء الطبيعية.<sup>136</sup>

كما جعل الغزالي الفقه والتصوف حقيقة واحدة لا تستطيع التفريق بينهما؛ فعند قراءة باب العبادات وحديثه عن الطهارة مثلاً سنجد أنه جعل لها أربع مراتب؛ تطهير الظاهر والجوارح والقلب والسرّ من كل شيء سوى الله. والصلاة لها معانٍ باطنة ويبدأ الحديث عن ستر عورات الباطن وغير ذلك حتى تتغلل المعاني الباطنة في المعاملات والعبادات والأسفار كما تغلغل في العبادات.<sup>137</sup>

إن ما نستنتجه من ذلك هو أن نفي مقدسي للرأي القائل بالمصالحة بين الفقه والتصوف كان على يد الغزالي بحجة وجود فقهاء صوفية قبله هو قول غير دقيق في إطلاقه؛ فمع وجود سابقة لهؤلاء العلماء إلا أن الغزالي قد استطاع المزج بين المنهجين على نحو يصعب التمييز بينهما. ويذهب "مقدسي" إلى أبعد من ذلك حين رأى أن "ابن عقيل" حتى بعد استنابته من عقيدة الحلاج لا يزال في قلبه تبجيل له؛ ذلك لأنه لما ندّد بالسلوك الاجتماعي لمعاصريه من الصوفية قام بمدح الصوفية الأوائل والثناء عليهم!<sup>138</sup>

ويبدو غريباً استنتاج "مقدسي" هذا المبني على خوض في القلوب والسرائر في حين يغفل عن انتقادات ابن عقيل وذمه للمنهج الصوفي حتى أنه قاربه بمنهج المتكلمين المفسد لعقائد الناس. يقول "ابن عقيل": والمتكلمون عندي خير من الصوفية لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفارة والنبوات فإذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا أخذوا علمهم ميتاً عن ميت فقد طعنوا في النبوات وعولوا على الواقع ومتى أزرى على طريق سقط الأخذ به ومن قال حَدَّثَنِي قلبي عن ربي فقد صرح انه غني عن الرسول ومن صرح بذلك فقد كفر.<sup>139</sup>

ومن الغريب النتيجة التي توصل إليها "مقدسي" والتي نتجت عن مقدمة مفادها بأن كل من الحنبلية والتصوف معروفين بتدبرهم المتواصل للقرآن والقول بخصومة الحنبلية للتصوف يعني أجنبية التصوف الإسلامي، فخلاصة ما يقول بأنه ما دام كل من الحنبلية والتصوف مصدرهما القرآن هذا يعني لا وجود لخلاف بينهما!<sup>140</sup>

فلا تعني وحدة المصدر وحدة المنهج ولا تشابه الأقوال تعني انتفاء الخصومة؛ فالأمر المعروف والنهي عن المنكر كان أصلاً من أصول المعتزلة وكان علامة مميّزة كذلك للحنبالية لكن لا يعني ذلك أنهما كانا على وفاق.

ويرى "مقدسي" أن كلاً من الحنبلية والصوفية ينتميان إلى أهل الحديث بوصفهما معارضين لعلماء الكلام لا بوصفهما مجرد متخصصين في رواية الحديث.<sup>141</sup>

وهذا خطأ إذ إن "الغزالي" و"القشيري" كانا من محققي علم الكلام وكذلك كانا من الصوفية وغيرهما من العلماء الكثير.

كما ويذهب إلى أن علماء من الصوفية انتسبوا للحنبلية فراّوا من علم الكلام وكان لهم إدانة واضحة وشديدة له، واستند "مقدسي" بهذا الرأي لنصّ ينقله عن "جولدتسيهر" غير أن نص هذه الأخير لا يُلَمَح ولو بأدنى القليل إلى ما قاله مقدسي، فخلاصة قول "جولدتسيهر" تقتضي بأن قوماً من الصوفية انتسبوا إلى المذهب الحنبلي وكانوا يدينون مقولات علم الكلام بعد انتسابهم له لا كما أوهم مقدسي القارئ.<sup>142</sup>

ولما عدّ المتصوفة من أهل الحديث وقع في نتيجة خاطئة فلم يكن كل المتصوفة من أهل الحديث؛ بل هم على ثلاث أصناف كما أشار "ابن تيمية": قوم على طريقة أهل الحديث، وقوم على طريقة بعض أهل الكلام، وقوم خرجوا إلى طريق المتفلسفة.<sup>143</sup>

فمن المهم الإشارة إلى أن الحنبلية وافقت التصوف الأوّل وهو التصوف الذي كان -بحسب ابن تيمية- أبعد عن البدع والضلالة، غير أنه قد لحق به فيما بعد الخلط.

إن "مقدسي" يقع في ما انتقده "كريستوفر ميلشيرت"<sup>144</sup> حين ذكر أن الباحثين الغربيين يتعاطفون مع المتصوفة، وقدم أدلة بأن "أحمد بن حنبل" لم يصاب الصوفية الأوائل الخصومة فحسب بل ذم أيضاً عاداتهم وأفعالهم، حتى أن تصوف الجنيد وما انطوى عليه من اجتماع على العبادة لم يجد قبولاً عند ابن حنبل.<sup>145</sup>

والحقيقة أن "مقدسي" وقع في ذات الفخاخ التي وقع فيها الباحثون وانتقدهم عليها وذلك في عدّ المذاهب مادة صلبة أفكارها ونتائجها جاهزة؛ فهو لما عدّ المصادقة بين الحنبلية والتصوف وعدم وجود خصومة بينهما كان قد وقع في فكرة جاهزة معمّمة؛ إذ كان في المدرسة الحنبلية من وقف مع التصوف المعتدل فنجد أن ابن أبي يعلى ترجم لرجال من صوفية، كما ويبدو حديث ابن رجب في كتابه "لطائف المعارف" وكأنه صوّف من الطبقة الأولى، وكذلك ابن القيم في "مدارج السالكين" وابن الجوزي في "صفوة الصفوة" غير أن ذلك كله لا يعني الامتزاج بين المنهجين وغياب الفروقات بينهما. ويمكن وصف هذا السعي لإعادة إنتاج وعي آخر للفرق الإسلامية وإذابة الخلافات فيما بينها بأنه يمثل علمنة لهذه الفرق بحيث يتمّ اختراقها وتوظيفها.

ولذلك وجدنا هذا الموقف المحموم من "مقدسي" الساعي إلى محاولة تقديم حجج أكثرها يصح القول بأنها مراوغة وغير دقيقة، والأصح القول بأنه يوجد تشابه ومراحل ساد فيها تقبّل

للاختلاف وخاصة مع الرعيل الأول من الصوفية لكن بعد ذلك حدث افتراق عظيم وخاصة عندما تقارب التصوف مع المدرسة الأشعرية.

إنَّ "مقدسي" الذي رفض منهج المستشرقين بمتابعة آراء "جولدتسيهر" و"باتون" وغيرهما في نظرتهما حول المدرسة الحنبلية سار على المنهج نفسه لكن بمتابعته لآراء أستاذه "ماسينيون" الذي كان مولعًا به إلى حد كبير مما جعله يوافقه في أفكاره، وهذه المحاولة التي عمد فيها إلى جعل كل من المنهجين أو المدرستين الحنبلية والصوفية وكأهما احتضنتا بعضهما البعض وإنكار خصومتهما التاريخية أو لنقل خلافاتهما هي محاولة لخرق البنى الثقافية والدينية ليسهل بعد ذلك التعامل معها استعماريًا.

إننا لا ننكر التشابه بين المدرستين بل وعموم المدارس الإسلامية ووحدة القصد والهدف وهو نيل رضوان الله وتحقيق السعادة في الدار الأبدية وأهمية الحوار وتقبل الاختلاف واحترام الآخر، لكن لا يمكن لهذه الخاصة أن تمحي الفروقات والممايزة بين المناهج والآليات التي تقوم عليها المدارس، وإن السعي الاستشراقي المحموم لصهر الاختلافات وتطوير هوية جديدة للمجتمعات يكشف عن عقلية استعمارية ترفع أفكارًا جذابة لبلوغ مقاصدها السياسية.

إن هذا الطابع الاستشراقي الذي تابع فيه "مقدسي" أستاذه "ماسينيون" يذكر بمحاولة الأخير محاولة التقريب بين الإسلام والمسيحية، ولقد أقر "علي بدر" بنبوغ "ماسينيون" وفردته غير أنه قدم انتقادات لمحاولاته التقريبية التي استفادها من "إدوارد سعيد". يقول: "إن هذه الرسائل تكشف لنا عن هذا الطابع الذي يعد طابعًا ملغزًا وملتبسًا في عمل ماسينيون، حين قرب بين الإسلام والمسيحية في صلب العلاج، وقرب بين الإسلام والمسيحية في شخصيتي فاطمة ومريم، وقرب بين الأديان السماوية الثلاث في شخصية إبراهيم، ففي هذه الرسائل ... تتضح مواقف ماسينيون من التصوف الإسلامي ومن الثقافة العربية برمتها."<sup>146</sup>

وهذا تمامًا ما سعى "إدوارد سعيد" لكشفه في سرديات الاستشراق فالمصالحات الدينية تمثل منهج سياسي هدفه المصالحة الاستعمارية، وبذلك يقدم الاستشراق شكلاً ناعمًا ومرناً للدين يخدم الأجندات الخارجية الساعية لإذابة الموائز بين الأديان والفرق وإعادة تشكيلها بحيث تغدو دوائر ثقافية مندمجة في عوامة الحداثة.



وبذلك تتضح الأخطاء المنهجية التي وقع فيها "مقدسي" لإزالة الفروقات بين مدرستين تتخذ كل منهما منهجاً مختلفاً، حيث جعلته هذه المقاربة يغفل عن دراسة الحنبلية الأوائل ورأسهم "ابن حنبل" الذي لم يُشر إليه إلا قليلاً، فالقراءة المنحازة والمؤجلة والاستدعاء المنتقى لرجال الحنبلية وغض الطرف عن آخرين جعلته يقع في نتائج خاطئة.

ويمكن وصف هذا السعي لإعادة إنتاج وعي آخر للفرق الإسلامية وفكّ الخلافات فيما بينها بأنه يمثل علمنة لهذه الفرق بحيث يتم احتراقها وتوظيفها.

### الخاتمة:

قدم هذا البحث رؤية استشراقية شكلت نافذة جديدة في الدراسات الإسلامية وذلك في النظر إلى المدرسة الحنبلية بشكل آخر عما عهدته الدراسات الاستشراقية التقليدية وكان جورج مقدسي أنموذج هذه الدراسة الذي بذل جهوداً واضحة في الكشف عن مخطوطات قديمة وتحققها، وإعادة النظر في قراءة المصادر التراثية القديمة والتأكيد على قراءتها ضمن سياقها التاريخي.

كما أشار هذا البحث إلى انتقادات "مقدسي" للمستشرقين على الرغم من إشاداته بجهودهم، فكانت أعماله مراجعة نقدية لما قدمه الاستشراق الكلاسيكي حول المدرسة الحنبلية وأفاد بكون نظرة المستشرقين تحمل نوعاً من التحامل لهذه المدرسة وبين أسباب ذلك وشرع بالوقوف ضدها. لا تخلو أعمال "مقدسي" من أخطاء منهجية ونتائج مغلوطة كما تعتبر دراساته مادة أيديولوجية يوظفها الغرب في رؤيته للجماعات الدينية وكيفية التعامل معها.

### ومن أهم النتائج التي خرج بها البحث:

أولاً: ينتقد "مقدسي" مصادر المستشرقين والنتائج العلمية التي توصلوا إليها في الحكم على المدرسة الحنبلية، ويرى بأن هذه المصادر كتابها كانوا متحاملين على هذه المدرسة كما أن هنالك خلافات بين علماء المدرسة نفسها فكان الحكم على بعضهم غير موضوعي بشكل كبير غير أن المستشرقين لم يعيروا ذلك انتباهاً فكانت نتائجهم غير دقيقة.

ثانيًا: كان "جولدتسيهر" -بحسب مقدسي- رغم عنايته بالمدرسة الحنبلية غير أنه كان مصدرًا لترويج ومتابعة الأخطاء الشائعة الملتصقة بها في داخل الدراسات الاستشرافية وقد كان مرجعًا لهم ونتائجه حول المدرسة بوصف أتباعها بالتحجيم والتعصب تتردد صداها عند المستشرقين دون تمحيص.

ثالثًا: كان الحنابلة والأشاعرة يتنافسون ضمن المدرسة الفقهية الشافعية ومن غير المسلم به أن الأشاعرة كانت لهم الشوكة والغلبة في حين أن الحنبلية تقف على هامش التاريخ بل كانت تحمل نظامًا خاصًا جعلها تؤثر بشكل كبير في المجتمع الإسلامي.

رابعًا: ليس هنالك عدااء مستحكم بين التصوف والحنبلية بحسب ما يرى "مقدسي" وقدم على ذلك براهين تاريخية بأسماء رجال عُدّوا متصوفة وحنابلة في الوقت نفسه.

خامسًا: لا تخلو أعمال "مقدسي" من نتائج مغلوطة في النظر إلى المصادر التاريخية وفي توظيف الأحداث التاريخية لرؤية مسبقة عنده، وعدّ كل من الصوفية والحنابلة أصدقاء ليس بينهما خصومة. سادسًا: الشكل الذي يقدمه الاستشراق الجديد للجماعات الدينية لا ينفك عن الاستدعاء الأيديولوجي لنوع من الوعي والتفكير يخدم السياسات العالمية.

### وفي نهاية هذا البحث أخرج بتوصيات وهي:

أولًا: الاهتمام بالدراسات الاستشرافية وخاصة المتقدمة للمدرسة من داخلها ومعرفة التيارات النقدية والمراجعة.

ثانيًا: إعادة الوقوف على المصادر التاريخية وقراءتها ضمن سياقها التاريخي لمعرفة الأسباب التي دفعت المؤلف للحكم والخروج بنتيجة معينة.

ثالثًا: ضرورة البحث في الأعمال التي تستدعي التألف بين الجماعات الإسلامية وترتجي التوفيق والتأثير والابتعاد عن الأعمال التي تحقق التعصب والانغلاق.

### قائمة المصادر والمراجع:

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، (2019)، الردُّ على الشاذلي في حزيه وما صنغه في آداب الطريق، ط3، دار عطاءات العلم: الرياض.
- ابن تيمية، أحمد، (2004)، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة المنورة.
- أبو زهرة، محمد، ابن حنبل، دار الفكر العربي: القاهرة.
- أبو هنية، حسن، (2011)، الطرق الصوفية، مؤسسة فريدريش آيبرت: الأردن.
- بدر، علي، (2010)، ماسينيون في بغداد من الاهتمام الصوفي إلى الهداية الكولونيالية - ط2، المؤسسة العربية للدراسات: بيروت.
- بدوي، عبد الرحمن، (1993)، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين: بيروت.
- ابن الجوزي، أبو الفرج، (2001)، تلبیس إبليس، ط1، دار الفكر للطباعة: بيروت لبنان.
- ابن خلکان، شمس الدین أحمد بن محمد، (1971)، وفيات الأعيان، ط1، دار صادر: بيروت.
- ابن عساکر، علي بن الحسن، تبیین کذب المفتری فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط3، دار الكتاب العربي: بيروت.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، (1986)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط1، ج9، دار ابن كثير: دمشق.
- التفتازاني، (1999)، أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة: القاهرة.
- الجابري، محمد عابد، (1993)، نحن والتراث، ط6، المركز الثقافي العربي: بيروت.
- جولدتسيهر، اجنتس، (1946)، العقيدة والشريعة في الإسلام، ط1، دار الكاتب المصري: القاهرة.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قاتماز، سير أعلام النبلاء، ج14، دار الحديث: القاهرة.
- الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت: لبنان. الزركلي، خير الدين، (2002)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين: بيروت.
- السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ط2، حجر للطباعة والنشر.
- سعيد، إدوارد، (2006)، الاستشراق، ت محمد عناني، ط1، رؤية: القاهرة.
- السمهوري، رائد، السلف المتخيل، ط1، المركز العربي للأبحاث: بيروت.
- الشيرازي، أبو إسحاق، الإشارة إلى مذهب أهل الحق، تحقيق محمد الجلند، وزارة الأوقاف: مصر.
- صبحي، أحمد محمود، (1985)، في علم الكلام، ط5، ج2، دار النهضة العربية: بيروت.
- عبد الحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت.
- عثمان، علاء عوض، (2020)، من مقدمة ترجمته لكتاب: الطبقات مؤلفات في التراجم بين الفقه وصحيح الدين في الإسلام، مركز تراث للبحوث.
- عقيقي، نجيب، (1964)، المستشرقون، ج3، ط3، دار المعارف: القاهرة.
- علال، خالد، (2005)، الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث، ط1، دار الغمام مالك: الجزائر.
- الغزالي، أبو حامد، (2014)، فضائح الباطنية، المكتبة العصرية: بيروت.
- الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج2، دار المعرفة: بيروت.
- لاووست، هنري، (1997)، نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع، تقديم الدكتور مصطفى حلمي، ط1، دار نشر الثقافة: الاسكندرية.
- مجموعة باحثين، (2018) المرجع في علم الكلام، تحرير زابينة شميكة، ترجمة أسامة السيد، مركز نماء للبحوث والدراسات: بيروت.
- مصباح، محمد، (2022)، النقد الذاتي للاستشراق - جورج مقدسي أنموذجاً، مجلة دراسات إستشرافية، العدد 32.

مقدسي، جورج، (2015)، نشأة الكليات-معاهد العلم عند المسلمين في الغرب-، ت محمود سيد محمد، ط1، مدارات: القاهرة.  
مقدسي، جورج، الأشعري والأشاعرة، ت أنيس مورو، مركز نماء للبحوث والدراسات: بيروت.  
مقدسي، جورج، (2016)، المذهب الحنبلي والتصوف، ت أحمد محمود، مجلة نماء، العدد1.  
مقدسي، جورج، (2017)، الإسلام الحنبلي، تقديم ومراجعة رضوان السيد، ط1، الشبكة العربية للأبحاث: بيروت  
مقدسي، جورج، (2018)، ابن عقيل، ترجمة محمد إسماعيل، مركز نماء للبحوث والدراسات: بيروت.  
ميلشريت، كريستوفر، الخابلة والصوفية الأوائل، دورية نماء، المجلد 7-العدد 1، شتاء 2023.  
هورتزر، نيمرود، (2011)، أحمد بن حنبل وتشكل المذهب الحنبلي، ط1، الشبكة العربية للأبحاث: بيروت.

- <sup>1</sup> مستشرق أمريكي ذو أصول شامية ولد في ولاية ديترويت الأمريكية عام (1920ميشيغان - 2002 بنسلفانيا)، وحصل على الدكتوراه من جامعة السوربون عام 1964م عن دراسته عن العالم الحنبلي ابن عقيل، وقد اشتغل بتدريس العلوم العربية والإسلامية في جامعة متشجان وهارفارد قبل تعيينه أستاذاً للدراسات العربية في جامعة بنسلفانيا عام 1973م. أنظر: عثمان، علاء عوض، (2020)، من مقدمة ترجمته لكتاب: الطبقات مؤلفات في التراجم بين الفقه وصحيح الدين في الإسلام، مركز تراث للبحوث، ص9
- <sup>2</sup> يعني المؤلف بالمصطلح (مدرسة) معاهد التعليم؛ أي الدور التي تجري بها عملية التعليم. انظر: انظر كتابه: مقدسي، جورج، (2015)، نشأة الكليات - معاهد العلم عند المسلمين في الغرب-، ت محمود سيد محمد، ط1، مدارات: القاهرة، ص 37
- <sup>3</sup> التصوف: سلوك إرادي ظاهري وقلبي متواصل مستند إلى شريعة الإسلام، دعائمه الفضائل الخلقية الإسلامية، له دوافع وحوافز ترجع إلى استعداد خاص يتفاوت لدى الأفراد، وإلى عقيدة الإسلام، وإلى تجربة شخصية مرتبطة بظروف بيئية، وهدف هذا السلوك هو التقرب إلى الله، وغايته القصوى الوصول إلى الحضرة الإلهية. (انظر: السيد أحمد، عزمي، (2012)، التصوف الإسلامي في حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري، ط2، المؤسسة العربية الدولية للنشر: عمان، ص32)
- <sup>4</sup> مستشرق فرنسي تخصص في ابن تيمية والخابلة بوجه عام، (1905-1983) انظر:
- ( بدوي، عبد الرحمن، (1993)، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين: بيروت، ص510).
- <sup>5</sup> لاووست، هنري، (1997) نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع، تقدم الدكتور مصطفى حلمي، ط1، دار نشر الثقافة: الإسكندرية، ص 8
- <sup>6</sup> بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص 511
- <sup>7</sup> مقدسي، جورج، (2017)، الإسلام الحنبلي، تقديم ومراجعة رضوان السيد، ط1، الشبكة العربية للأبحاث: بيروت، ص 10
- <sup>8</sup> شيخ الخابلة أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري، ولد سنة (431هـ)، وهو حنبلي ومتكلم، صاحب تصانيف، كان يسكن الظفري ومسجده بها مشهور. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، ج14، دار الحديث: القاهرة، ص330).
- <sup>9</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 11
- <sup>10</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 125.
- <sup>11</sup> اجنتس جولدتسيهر (1850 - 1921م) مستشرق ولد في انجر لأسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير وقد اشتهر بتحقيقه في تاريخ الإسلام وعلوم المسلمين وفرقهم وحركاتهم الفكرية تحقيقاً فريداً في باب، فعد من أعلام المستشرقين، وقد انتخب عضواً في مجمع العلوم الجري، وكانت له مكتبة أربت على 40 ألف مجلد في العلوم والفقه والفلسفة والفنون واللغة والأدب، أسبغ على القسم الشرق منها قيمة علمية بما علقه عليه من الحواشي والاستدراكات والتحقيقات. وأضاف إليها نسخاً تبلغ الآلاف. انظر: (عقيقي، نجيب، (1964)، المستشرقون، ج3، ط3، دار المعارف: القاهرة، ص 906).

- <sup>12</sup> هو مستشرق أمريكي الإقامة بريطاني المولد والمنشأ (1863-1943م) وكان شديد التقوى المسيحية، وصرف نشاطاً كبيراً في التبشير المسيحي، وفي إعداد المبشرين في مدرسة كندي Kennedy للإرساليات التبشيرية، وإنتاجه العلمي يتسم بالوضوح في العرض، لكنه خال من التعمق. انظر: (بدوي، عبد الرحمن، (1993)، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين: بيروت، ص 538.
- <sup>13</sup> مصباح، محمد، (2022)، النقد الذاتي للاستشراق -جورج مقدسي أنموذجاً، مجلة دراسات إستشرقية، ع. 32، ص 163
- <sup>14</sup> انظر كتابه: مقدسي، جورج، (2015)، نشأة الكليات -معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب- (مرجع سابق)، ص 48، 50
- <sup>15</sup> هو مستشرق ألماني ولد في مدينة بروسنوك في (17 سبتمبر 1868م)، بدأت ميوله للدراسات الشرقية منذ كان في المدرسة الثانوية، من أشهر كتبه "تاريخ الأدب العربي" صنف في خمسة أجزاء. انظر: (بدوي، عبد الرحمن، (1993)، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين: بيروت، ص 98.
- <sup>16</sup> القاضي أبو يعلى؛ محمد بن الحسين ابن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي الحنبلي ابن الفراء ولد في محرم سنة (380هـ)، صاحب التعليقة الكبرى والتفصنيف المؤيدة في المذهب. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قاتماز، سير أعلام النبلاء، ج 13، دار الحديث: القاهرة، ص 325)
- <sup>17</sup> باحث تركي، ولد وتوفي بجا، (1924-2018 م) وعاش في ألمانيا، تخصص في التراث العلمي العربي والإسلامي. مؤسس ومدير معهد دراسات التاريخ والعلوم الإسلامية والعربية في جامعة كوت، حصل على الدكتوراه بأطروحة عنوانها "مصادر البخاري" تعلم العربية وأتقن 27 لغة.
- <sup>18</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 18-19.
- <sup>19</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 21
- <sup>20</sup> انظر كتابه: السلف المتخيل، ط1، المركز العربي للأبحاث: بيروت، ص 37
- <sup>21</sup> نشأت هذه الفرقة في البصرة في حدود نهاية المئة الأولى للهجرة، وضمن اتجاهات فكرية متعددة، وكان لها دور كبير في تاريخ الفكر الإسلامي طيلة القرنين الثاني والثالث الهجري على الأقل، ورحلهم هم من أدخلوا النزعة العقلية في الإسلام. (عبد الحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت، ص 103).
- <sup>22</sup> الكتاب: الفهرست المؤلف: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: 438هـ) المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط. 2، 1417هـ - 1997م عدد الأجزاء 1
- <sup>23</sup> الكتاب: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جليي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067هـ) الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) 1941م عدد الأجزاء: 6
- <sup>24</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 19
- <sup>25</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 17
- <sup>26</sup> مستشرق ألماني اختص بالأدب العربي وبالفكر العربي الحديث، معظم كتاباته صدرت في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، مات بمطلع الأربعينات ممرض عضال، أشهر كتبه موجز أدب علوم الإسلام أورد فيه أهم المراجع في علم الإسلاميات في الغرب صدر عام 1923. (نقلاً عن مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 28)
- <sup>27</sup> مستشرق أمريكي (ت: 1925م) نال درجة الدكتوراه في اللاهوت ودرجة أستاذ في الآداب، واشغل أستاذاً لآداب الكتب المقدسة وتاريخ الأديان. وكتب عدة مواد في دائرة معارف الدين والأخلاق. (نقلاً عن مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 27)
- <sup>28</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 28
- <sup>29</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 29
- <sup>30</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 358-359
- <sup>31</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 44-45.

- <sup>32</sup> قاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (683 - 756هـ) الشافعي صاحب التصانيف، سمع من ابن الصواف والديمياطي وبدمشق من أبي جعفر بن الموزاني والطبقة "وكان حَمَّ الفضائل حسن الديانة صادق للهجة قوي الذكاء من أوعية العلم. (انظر: الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت: لبنان، ج4، ص200)
- <sup>33</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص29-46
- <sup>34</sup> انظر: مقدسي، جورج، الأشعري والأشاعرة، ت أنيس مورو، مركز نماء للبحوث والدراسات، ص49-50.
- <sup>35</sup> ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادى، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت.795هـ) الخفقي: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين مكتبة العبيكان - الرياض، ط1، 1425هـ-2005م، عدد الأجزاء5.
- <sup>36</sup> أنظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص48.
- <sup>37</sup> انظر: المرجع نفسه، ص48.
- <sup>38</sup> انظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج1، ص336.
- <sup>39</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص49م.
- <sup>40</sup> أَبُو إِسْمَاعِيلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ مَتِّ الْأَنْصَارِيِّ الْهَرَوِيِّ، (1006-1089م) مصنفُ كِتَاب (ذِكْرُ الْكَلَامِ)، وَشَيْخُ خُرَاسَانَ مِنْ دُرَرِهِ صَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ أَبِي الْيُوثُوبِ الْأَنْصَارِيِّ. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز، سير أعلام النبلاء، ج18، دار الحديث: القاهرة، ص503، 504)
- <sup>41</sup> مِنْ أَهْلِ جِيلَانِ إِمَامِ الْحَنَابِلَةِ وَشَيْخِهِمْ فِي عَصْرِهِ، فِقْهِيَّةٌ صَالِحَةٌ ذَرِيَّةٌ خَيْرٌ، كَثِيرُ الذِّكْرِ، دَائِمُ الْفِكْرِ، سَرِيعُ الذَّمْعَةِ، تَفَقَّهَ عَلَى الْمُخَرَّمِيِّ، وَصَحَّبَ الشَّيْخَ حَمَّادَ الدَّيْلَمِيَّ، وَكَانَ يَسْكُنُ بِنَابِ الْأَنْجِ فِي مَدْرَسَةِ بُيُوتِ لَهُ. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز، سير أعلام النبلاء، ج15، دار الحديث: القاهرة، ص180)
- <sup>42</sup> انظر: مقدسي، جورج، المذهب الحنبلي والتصوف، ص360-361
- <sup>43</sup> انظر: مقدسي، جورج، المذهب الحنبلي والتصوف، ص34-35
- <sup>44</sup> أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْغَزَالِي، الْمَلَقَبُ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ زَيْنُ الدِّينِ الطُّوسِي (450-505هـ) لفقيه الشافعي، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله، اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الرازكاني، ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وجد في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان المشار إليهم. (انظر: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (1971)، وفيات الأعيان، ط1، ج4، ص116-117).
- <sup>45</sup> الْوُزَيْرُ الْكَبِيرُ، نِظَامُ الْمُلْكِ (1018-1092م)، قِيَامُ الدِّينِ، أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ إِسْحَاقَ الطُّوسِيِّ، عَاقِلٌ، سَائِسٌ، خَبِيرٌ، سَعِيدٌ، مُتَدَبِّرٌ، مُحْتَشِمٌ، عَامِرُ الْمَجْلِسِ بِالْقُرَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، أَنْشَأَ الْمَدْرَسَةَ الْكُبْرَى بِبَغْدَادَ، وَأُخْرَى بِنَيْسَابُورَ، وَأُخْرَى بِطُوسَ = وَرَعِبَ فِي الْعِلْمِ، وَأَدْرَجَ عَلَى الطَّلَبَةِ الصَّلَاتِ، وَأَمَلَى الْحَدِيثَ، وَتَعَدَّ صَبِيته. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز، سير أعلام النبلاء، ج14، دار الحديث: القاهرة، ص144).
- <sup>46</sup> - انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص35
- <sup>47</sup> سبب الحجة دعوة الخليفة العباسي المأمون للفقهاء والمحدثين أن يقولوا مقالته في خلق القرآن فيقولوا إن القرآن مخلوق مُخْتَدَّتْ كما يقول أصحابه من المعتزلة... فلم يوافق الإمام أحمد بن حنبل المأمون فتزل به الأذى الشديد. (انظر: أبو زهرة، محمد، ابن حنبل، دار الفكر العربي: القاهرة، ص46)
- <sup>48</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص31
- <sup>49</sup> المرجع نفسه، ص35
- <sup>50</sup> ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة المنورة، ج20، ص180.
- <sup>51</sup> انظر كتابه: الجابري، محمد عابد، (1993)، نحن والتراث، ط6، المركز الثقافي العربي: بيروت، ص14
- <sup>52</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص33.

<sup>53</sup> الظاهرية مذهب فقهي ومنهج نشأ في القرن الثالث في أرض مدينة بغداد بيد أبي سليمان داود بن علي الأصفهاني عن طريق مؤلفاته الكثيرة وغيرها، ومن أبرز رجال المذهب الظاهري والذي جدد معالمة هو ابن حزم الأندلسي. (انظر كتاب: الإدريسي، توفيق بن أحمد، المدرسة الظاهرية، مكتبة وداد: الرياض).

<sup>54</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 36

<sup>55</sup> انظر: مقدسي، جورج، (2018)، ابن عقيل -الدين والثقافة في الإسلام الكلاسيكي-، نداء: بيروت، ص 263

<sup>56</sup> انظر: أبو زهرة، أحمد بن حنبل -حياته وعصره... آراؤه وفقهه -، دار الفكر العربي، 279-460

<sup>57</sup> انظر: مقدسي، المرجع نفسه، ص 25

<sup>58</sup> انظر كتابه: مقدسي، جورج، (2015)، نشأة الكليات-معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب (مرجع سابق)، ص 406

<sup>59</sup> أستاذ الدراسات الدينية في جامعة ييل بالولايات المتحدة.

<sup>60</sup> انظر كتابه: سعيد، إدوارد، (2006)، الاستشراق، ت محمد عناني، ط1، رؤية: القاهرة، ص 46

<sup>61</sup> - الإمام العلامة الحافظ الكبير المجوّذ، محدّد الثّام، ثقة الدّين، أبو القاسم الدّمشقيّ الشّافعيّ، ولد ( 499هـ) صاحب "تاريخ دمشق" وهو علي بن الشّيشيّ أبي محمّد الحسّين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، ج15، دار الحديث: القاهرة، ص 274 )

<sup>62</sup> انظر: مقدسي، جورج، الأشعري والأشاعرة، ت أنيس مورو، مركز نماء للبحوث والدراسات، ص 38

<sup>63</sup> **Muslim Institutions of Learning in Eleventh-Century Baghdad** Author(s): George – Makdisi Source: Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London

<sup>64</sup> انظر كتابه: مقدسي، جورج، (2015)، نشأة الكليات-معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب-، ت محمود سيد محمد، ط1، مدارات: القاهرة.

<sup>65</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 53.

<sup>66</sup> فرقة من فرق الشيعة، نادت بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، ولها أسماء عدة، مثل: الفاطميون، الحشاشون، البهرة، القرامطة. (انظر: الخطيب، محمد، (2007)، فرق إسلامية، ط2، منشورات جامعة القدس: عمان، ص 185، 186)

<sup>67</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 54

<sup>68</sup> فرقة من فرق الشيعة، نادت بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، ولها أسماء عدة، مثل: الفاطميون، الحشاشون، البهرة، القرامطة. (انظر: الخطيب، محمد، (2007)، فرق إسلامية، ط2، منشورات جامعة القدس: عمان، ص 185، 186)

<sup>69</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 54-56.

<sup>70</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 107.

<sup>71</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 59

<sup>72</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 59-60.

<sup>73</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 56

<sup>74</sup> أ بُو إِسْحَاقُ الشَّيْزَارِيُّ إِتْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يُونُسَ، (393-476هـ). نَزَلًا بَغْدَادَ، قِيلَ: لَقَبَهُ جَمَالُ الدِّينِ، وَكَانَ يُضْرِبُ الْمَثَلَ بِفَصَاحَتِهِ وَقُوَّةِ مُنَاطَرَتِهِ. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، ج18، دار الحديث: القاهرة، ص 352، 453).

<sup>75</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 57

<sup>76</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 58

<sup>77</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 63

<sup>78</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 68

- 79 انظر: المرجع نفسه، ص 69
- 80 انظر: المرجع نفسه، ص 69
- 81 انظر: المرجع نفسه، ص 69
- 82 انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 70
- 83 انظر: المرجع نفسه، ص 127
- 84 انظر: مقدسي، جورج، الأشعري والأشاعرة، ص 83-84.
- 85 ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى، (مصدر سابق)، ج 4، ص 18.
- 86 انظر مقدمة كتابه: الشيرازي، أبو إسحاق، الإشارة إلى مذهب أهل الحق، تحقيق محمد الجليلند، وزارة الأوقاف: مصر، ص 3
- 87 السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ط 2، هجر للطباعة والنشر. ج 4، ص 235
- 88 ابن رجب، عبد الرحمن، (1952)، الذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة: بيروت، ص 19-20-21.
- 89 علال، خالد، (2005)، الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث، ط 1، دار الغمام مالك: الجزائر، ص 56.
- وانظر أيضاً السبكي قوله: "والشَّافِعِيَّةُ غالبهم أشاعرة لا أَسْتثنى إِلَّا من لحق مِنْهُمْ بتحسيم أو اعتزال" (طبقات الشافعية الكبرى، ط 2، هجر للطباعة والنشر، ج 3، ص 378).
- 90 ابن الجوزي، أبو الفرج، (1992)، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، دار الكتب العلمية: بيروت، ج 18، ص 32.
- 91 انظر: المرجع نفسه، ج 18، ص 32.
- 92 ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم، (1997)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي: بيروت، ج 8، ص 261.
- 93 ابن الجوزي، أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الامم والملوك (مرجع سابق)، ج 16، ص 190.
- 94 هو إمام الحرمين أبو المعالي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ الْجُوَيْنِيِّ الإمامَ الْكَبِيرَ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ، إمامَ الْحَرَمَيْنِ، الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ. وَلِدَ: فِي أَوَّلِ سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز، سير أعلام النبلاء، ج 18، دار الحديث: القاهرة، ص 468).
- 95 الغزالي، أبو حامد، (2014)، فضائح الباطنية، المكتبة العصرية: بيروت، ص 12.
- 96 ابن عساکر، علي بن الحسن، تبیین کذب المفتری فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط 3، دار الكتاب العربي: بيروت، ص 163
- 97 ابن تيمية، أحمد، (2004)، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة المنورة، ج 6، ص 52-53.
- 98 هوريتز، نيمرد، (2011)، أحمد بن حنبل وتشكل النذهب الحنبلي، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث: بيروت، ص 229-230.
- 99 مقدسي، جورج، الأشعري والأشاعرة (مرجع سابق)، ص 25
- 100 انظر: المرجع نفسه، ص 20-21.
- 101 ميلشيرت، خصوم أحمد بن حنبل، دورية نماء، ترجمة محمد خضر، العدد 8، 2020، ص 229
- 102 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 6، ص 52.
- 103 انظر: مجموعة باحثين، (2018) المرجع في علم الكلام، تحرير زابينة شميتكة، ترجمة أسامة السيد، مركز نماء للبحوث والدراسات: بيروت، (حملة ابن عقيل وفتنة ابن القشيري، ليفانت هوتزمان، ص 1099/ المذهب الكلامي الحنبلي، جون هوفر، ص 1039)
- 104 مقدسي، جورج، المذهب الحنبلي والتصوف، ص 3
- 105 انظر: أبو هنية، حسن، (2011)، الطرق الصوفية، مؤسسة فريدريش أيبرت: الأردن، ص 18
- 106 انظر: التفنازاني، (1999)، أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة: القاهرة، ص 28، 29
- 107 انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 73
- 108 انظر: المرجع نفسه، ص 74



109 انظر: المرجع نفسه، ص 77

110 ابن مُحمَّد بن الجُنَيْد التَّهَوَنْدِيُّ ثُمَّ البَغْدَادِيُّ الْقَوَارِيرِيُّ (215-298هـ) وَالِدُهُ الْحَزَّازُ هُوَ شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ فَقَّهُ عَلَى أَبِي نُورٍ. وَسَمِعَ مِنْ: السَّرِيِّ المَشْطُطِيِّ، وَصَحْبِهِ، وَمِنْ الْحَسَنِ بن عَرَفَةَ وَصَنَّبَ أَفْضًا: الْحَارِثُ المِخَاسِي، وَأَبَا حَمْرَةَ البَغْدَادِيِّ. وَأَثَقَنَ الْعِلْمَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى شَأْنِهِ، وَتَأَلَّهَ، وَتَعَبَّدَ، وَنَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَقَلَّ مَا رَوَى. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز، سير أعلام النبلاء، ج11، دار الحديث: القاهرة، ص43)

111 الإمام الزَّاهِدُ العَارِفُ، شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ، أَبُو طَالِبٍ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بن عَطِيَّةَ الحَارِثِيُّ (ت: 386هـ) المَكِّيُّ المنشَأُ، العجمي الأصل. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز، سير أعلام النبلاء، ج12، دار الحديث: القاهرة، ص468، 469)

112 مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بن مُحَمَّدٍ بن موسى بن خَالِدٍ بن سَالِمٍ بن زُلوَيْةَ بن سَعِيدٍ بن قَبِيصَةَ بن سَرَّاقٍ، الأَزْدِيُّ (325-412هـ)، السُّلَمِيُّ الأُمِّيُّ، الإمام الحافظُ المحدثُ، شَيْخُ خُرَّاسَانَ وكَبِيرُ الصُّوفِيَّةِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّيْسَابُورِيُّ الصُّوفِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز، سير أعلام النبلاء، ج13، دار الحديث: القاهرة، ص43)

113 الإمام الزَّاهِدُ القُدْوَةُ الأُسْتَاذُ أَبُو القَاسِمِ عَبْدُ الْكَرِيمِ بنُ هَوَازِنَ بن عَبْدِ المَلِكِ بنِ طَلْحَةَ القُشَيْرِيُّ الخُرَّاسَانِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ الشَّافِعِيُّ الصُّوفِيُّ المَفْسَرُ صَاحِبُ "الرِّسَالَةِ". (376-465هـ) تَعَالَى الفُرُوسِيَّةُ وَالْعَمَلُ بِالسَّلَاحِ حَتَّى بَرَعَ فِي ذَلِكَ ثُمَّ تَعَلَّمَ الكِتَابَةَ وَالْعَرَبِيَّةَ وَجَوَّدَ. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز، سير أعلام النبلاء، ج13، دار الحديث: القاهرة، ص395)

114 كارل هينريش بيكر سياسي ألماني ولد في أمستردام لأب مصري، ويعتبر واحد من مؤسسي الدراسات الشرق أوسطية المعاصرة، ويعد من أهم دارسي ابن الجوزي. نقلًا عن جورج مقدسي حاشية الإسلام الحنبلي، ص 84.

115 انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 83، 84

116 كارل فولز مستشرق ألماني، تولى إدارة المكتبة الحديوية بالقاهرة، وكان من أوائل الباحثين في اللهجة المصرية المعاصرة. نقلًا عن مقدسي، جورج، حاشية الإسلام الحنبلي، ص 84.

117 انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 84 - 85

118 انظر: المرجع نفسه، ص 87

119 مُحَمَّدُ بن عبد الملك بن خلف أَبُو خلف الطَّيْرِيُّ السَّلَمِيُّ (ت310هـ) من أئِمَّةِ أَصْحَابِنَا، تفقه على الشَّيْخَيْنِ القُفَالِ وَأَبِي مُنْصُورِ البَغْدَادِيِّ، كَانَ فَقِيهًا صُوفِيًا وَقَفَّتْ لَهُ عَلَى كِتَابِ سُلُوكِ العَارِفِينَ وَأَنَسِ المَشْتَاقِينَ فِي التَّصَوُّفِ وَهُوَ كِتَابُ جَلِيلٍ فِي بَابِهِ. (السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ط2، هجر للطباعة والنشر، ج4، ص 179 )

120 أَحْمَدُ بن عبد الله بن أَحْمَدَ بن إِسْحَاقَ بن مُوسَى بن مَهْرَانَ الإمام الجليل الحافظ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ الصُّوفِيُّ ولد (306هـ)، الجامع بَيْنَ الْفَقْهِ والتَّصَوُّفِ وَالنَّهْائَةِ فِي الحِفْظِ والضُّبْطِ، ولد فِي رَجَبِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِأَصْبَهَانَ، وَهُوَ سَبَطُ الشَّيْخِ الزَّاهِدِ مُحَمَّدُ بن يُونُسَ البَنَّا أَحَدَ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ. (السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ط2، هجر للطباعة والنشر، ج4، ص18)

121 انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 85 - 85

122 انظر: مقدسي، المرجع نفسه، ص 88

123 انظر: المرجع نفسه، ص 88

124 انظر: جورج، الإسلام الحنبلي، ص 91

125 انظر: المرجع نفسه، ص 90

126 انظر: المرجع نفسه، ص 93

127 انظر: المرجع نفسه، ص 93

128 انظر: المرجع نفسه، ص 94.

129 انظر: المرجع نفسه، ص 96

- <sup>130</sup> موفق الدّيني أبو مُحَمَّد عَبْدَ اللَّهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ قُدَامَةَ بنِ مُقْدَامٍ بنِ نَصْرِ المُدَلسِيّ، الحَنَابِلِيّ، ثُمَّ الدَّمَشَقِيّ، الصَّالِحِيّ، الحَنَابِلِيّ (ت. 620هـ)، صاحب "المغني" وُلِدَ بِجَمَاعِيْن، مِنْ عَمَلٍ نَائِلَس. (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز، سير أعلام النبلاء، ج 16، دار الحديث: القاهرة، ص 149)
- <sup>131</sup> الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث ( 244-309 هـ) فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين. أصله من بيشاء فارس، ونشأ بواسط العراق (أو بستان) وانتقل إلى البصرة، وحجّ، ودخل بغداد وعاد إلى تستر. وظهر أمره سنة 299هـ فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان. ثم كان ينتقل في البلدان وينشر طريقته سرا. (( انظر: الزركلي، خير الدين، (2002)، الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين: بيروت، ج 2، ص 260)
- <sup>132</sup> شهاب الدّين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، الشهير بأبن حجر، نسبة إلى الحجر، كان شاعرا، طبعا، محدّثا صناعة، فقيها تكلفا، انتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم ومعرفة العالي والتّازل، وعلل الأحاديث، وغير ذلك. (انظر: ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، (1986)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط 1، ج 9، دار ابن كثير: دمشق، ص 395-396)
- <sup>133</sup> أحمد بن محمد بن عليّ، شهاب الدين ابن العطار، الدنيسريّ: أديب، أصله من (دنيس) قرب مادريين (بالجزيرة) اشتهر وتوفي بالقاهرة. له نظم كثير وكان يمدح الأكابر وينظم في الوقائع. وله كتب، منها "نزهة الناظر في المثل السائر" (انظر: الزركلي، خير الدين، (2002)، الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين: بيروت، ج 1، ص 225)
- <sup>134</sup> انظر: مقدسي، جورج، الإسلام الحنبلي، ص 97-98
- <sup>135</sup> انظر: مقدسي، جورج، المذهب الحنبلي والتصوف ص 366-367
- <sup>136</sup> صبحي، أحمد محمود، (1985)، في علم الكلام، ط 5، ج 2، دار النهضة العربية: بيروت، ص 198-200.
- <sup>137</sup> المرجع نفسه، ص 202-204.
- <sup>138</sup> انظر: مقدسي، جورج، ابن عقيل، ص 88.
- <sup>139</sup> ابن الجوزي، أبو الفرج، (2001)، تلبيس إبليس، ط 1، دار الفكر للطباعة: بيروت لبنان، ص 330.
- <sup>140</sup> انظر: مقدسي، جورج، المذهب الحنبلي والتصوف، ص 364-365.
- <sup>141</sup> - انظر: المرجع نفسه، ص 364-365.
- <sup>142</sup> انظر: مقدسي، جورج، (2016)، المذهب الحنبلي والتصوف، النص من تعليق أحمد محمود، مجلة نماء، ع. 1، ص 376.
- <sup>143</sup> ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (2019)، الرد على الشاذلي في حزيه، وما صنّفه في آداب الطريق، ج 1، ط 3، دار عطاءات العلم: الرياض، ص 83-84
- <sup>144</sup> أستاذ أمريكي وباحث في الإسلام وأستاذ في اللغة العربية والدراسات الإسلامية بمعهد دراسات آسيا والشرق الأوسط في جامعة أكسفورد، ألف العديد من الدراسات والأبحاث في الفقه والحديث والتصوف، منها كتاب "تشكيل المذاهب الفقهية السنية" وكتاب "أحمد بن حنبل".
- <sup>145</sup> - انظر: ميلشيرت، كريستوفر، الحنابلة والصوفية الأوائل، دورية نماء، المجلد 7-العدد 1، شتاء 2023، ص 149.
- <sup>146</sup> بدر، علي، (2010)، ماسينيون في بغداد من الاهتداء الصوفي إلى الهداية الكولونيالية-، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات: بيروت، ص 21-22.